فهـــــرست

كتاب القول المفيد فى آثار الصعيد

لطلبة مدرســـة دار العلوم

مرتبة على حروف المعجم

---

obeikandl.com

(فهرست كتاب القول المفيد فى آثار الصعيد لطلبة مدرسة دار العلوم مرتبة على حروف المعجم)

صحيفة

(حرف الالف)

٨٥ ارمنت
١٠٤ اسنا
٤٥ أسيوط
٤٤ اصطبل عنتر
٦٠ و ٦٧ الاقصر
٧ أهمية السياحة

(حرف الباء)

٦١ باب الملوك
٢٠ البدرشين منف
٦٥ بربة هاتاسو
١٠٥ بربى اسنا
٣٨ بنى حسن

(حرف التاء)

٣٢ و ١٣ تمثال رمسيس الاكبر

(حرف الجيم)

١٦ جدول أسماء أفراد الارسالية
٩٥ جزيرة اسوان

(حرف الحاء)

٥ الخطبة

(حرف الدال)

١١٠ دشنا
٥٣ دندره

صحيفه

(حرف الراء)

٥٤ الرحبة الاولى من هيكل هاتور
٥٦ « الثانية « « «
٥٦ « الثالثة « « «
٥٧ « الرابعة « « «
٤٢ الروضة ومعمل السكر

(حرف السين)

٦ سبب السياحة
٤٩ سوهاج

(حرف العين)

١١٣ العرابة المدفونة

(حرف الفاء والقاف والكاف)

٥٢ فرشوط وتراجم علمائها
٩٩ قصر أنس الوجود
١٠٨ قنا
١٦٨ الكرنك

(حرف الميم)

١٠٦ مدرسة اسنا
٢٨ مدفن رئيس كهنة العائلة الخامسة
٢٧ مدفن العجول
٦٠ معبد أمون رع
٤٢ معمل سكر الروضة
٩١ المغارات التى استكشفها السير غرانفيل

صحيفه

(تابع حرف الميم)

٨٣ مقارنة عمارات طيبة بغيرها
٣ مقدمة لحضرة ناظر المدرسة
٢٠ منف

(حرف الهاء)

٣٠ هرم اوتاس
٣١ « ببيس الاول
٣١ « تتا
٣٦ الهرم المدرج
٨٧ هيكل ادفو
٦٦ « رمسيوم
١٠٣ « كوبنو
٥٣ « هاتور

(حرف الواو)

١١ وجوب السياحة فى الوطن ابتداء
٨٠ وصف عام لمدينة طيبة

(حرف الياء)

١٥ اليوم الاول من السفر
٣٣ « الثانى « (وهرم ميدوم)
٣٦ « الثالث « (وجبل الطير)
٤٤ « الرابع «
٤٦ « الخامس «
٥٠ « السادس «

صحيفه

(تابع حرف الياء)

٥٣ اليوم السابع من السفر
٦٠ « الثامن «
٦٨ « التاسع « وآثار الكرنك
٧٦ « العاشر « ومدينة هبو
٨٥ « الحادى عشر « ومدينة ارمنت
٨٦ « الثانى عشر «
٩١ « الثالث عشر «
٩٨ « الرابع عشر «
١٠١ « الخامس عشر «
١٠٣ « السادس عشر «
١٠٥ « السابع عشر «
١٠٨ « الثامن عشر «
١١٠ « التاسع عشر « ودشنا
١١٣ « العشرون « وجزيرة شندويل
١١٥ « الحادى والعشرون «
١١٧ « الثانى والعشرون « وهو الاخير

obeikandl.com

دار العلوم الخديوية

كتاب

القول المفيد في آثار الصعيد

وهو رحلة لطلبة مدرسة دار العلوم أثناء تجوّلهم في الوجه القبلي

في سنة ١٨٩١

قررت نظارة المعارف العموميه بتاريخ ١٧ دسمبر سنة ١٨٩٢ نمرة ٢٨٧
لزوم طبع هذا الكتاب على نفقة الحكومه

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد فالكتاب الذى بين يدى حضرات القراء وضعه بعض طلبة دار العلوم مع ضيق الاوقات التى يمكنهم فيها مزاولة غير دروسهم

وبديهى أننا بطبعه استهدفنا هؤلاء الطلبة لسهام الانتقاد ولكنى أعلم منهم علم اليقين أن استهدافهم هذا يعدّ عندهم شيأ قليلا فى جانب مارسخ فى قلوبهم من حب أداء الواجب ووضع هذا الكتاب انما هو أداء لواجب

فقد قضت الحكمة الالهية والاسرار الربانية أن يكون لكل أمة أمنية تسعى لها وتجدّ فى نوالها استجماعا لقواها حتى لايدركها التمزيق واستنهاضا لعزائمها من التراخى واستبقاء لوجودها من الموت الذى يحدث لو حصل لها وقوف فى طريق العمران

ولولا هذه الامانى ماخرج المتوحش من وكره ولا قاوم الضعيف القوى ولا وقف أحد فى ميدان المزاحمة ولا أحرم العالم نفسه حبا فى العلم من لذة الرقاد ولا صرف الفلكى وقته فى الحساب والارصاد

وهذه الامانى وان وجدت فى جميع البقاع فهى تختلف باختلاف الازمان والاصقاع وبحسب حالة الامة من التقدم والتقهقر فى المدنية والعمران تكون درجة الامانى فى الرفعة والضعة

وأمنية المصرى الآن هى التعلم فقد ثبت له اليوم أن الانسان فى احتياج شديد الى معلومات كثيرة كثيرة جدا واحتياجه الى الرجولية أشدّ وأوجب وكلا المطلوبين لايتم لامة من غير تعلم لذلك أصبح نداء الامة التعلم التعلم

وانى أرى أن المسترجون كولنْ قد أدرك هذا ولذلك لما أراد الاحتفال بتشريف خديوينا الاعظم الاريكة الخديوية لم ير أحسن من توسيع نطاق المعلومات عند

خمسين متعلما من المصريين باستطلاعهم آثار السلف ووقوفهم على ما كان لهم من المجد الشامخ والشرف الباذخ (على نفقته) اذ لاشئ عند الملوك أحب اليهم من مساعدة رعيتهم على ادراك مناها فسرورهم بسرورها وعزهم بعزها هم بها وهى بهم

ومن هؤلاء الخمسين اثنا عشر طالبا من مدرسة دار العلوم فرأوا عند عودتهم من السياحة أن عليهم واجبا هو أداء الشكر للحضرة الفخيمة الخديوية سبب هذه السياحة التى عادت عليهم بجليل الفائدة

ولم يروا أحسن من جمع ملخص من معلقاتهم التى كتبوها أثناءها يكون مدلول شكرهم وعنوان اخلاصهم وكلفوا اثنين منهم بجمع هذا الملخص وهما الشيخ محمد المهدى والشيخ محمد عاطف فقاما بالعمل وأنجزاه

وبذلك يرى القارئ أن هذا العمل فضلا عن كونه عمل متعلمين فاساسه تعاليق اخذت فى السفر عند التنقل من مكان الى مكان ولذلك كان خلوه مما يستوجب انتقاد القارئ ليس مؤكدا عندى

ولكن المؤكد هو أن الباعث للطلبة على وضع هذا الكتاب انما هو حب أداء الواجب ونية المرء خير من عمله

فما أسعدهم اذا صادف عملهم هذا من ولى نعمتهم رضاء ومن الناس اقبالا والله يجزى المحسنين

تحريرا فى ٢٥ ربيع الاول سنة ١٣١٠ الموافق ١٦ اكتوبر سنة ١٨٩٢

ناظر مدرسة دار العلوم
(ابراهيم مصطفى)

الخطبة

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين)

من فضلك يامبدع الآثار اسداء النعم الينا ومنا رحلة القلوب خالصة لوجهك فرضا علينا اللهم بك نستعين واياك نعبد واليك نلجأ ولعظيم جلالك نسجد تباركت ياذا الجلال وتنزهت عن الامثال لاتجتليك العيون ولا تحيط بك الظنون جعلت الليل لباسا والنوم سباتا والنهار معاشا والجبال أوتادا والقمر نورا والشمس سراجا والماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا فسبحانك أجريت البحار ونوعت المياه والانهار وألهمت السباحة وسهلت سبل السياحة وأوجدت الدواب وأنشأت الجوارى فى الاسهار وأثرت الرياح وأسلت الامطار وأظهرت آثارا دلت على عظيم قدرتك وبديع صنعك جلت منفعة وأدهشت صنعا وحسنت فائدة وكملت بداية ونهاية لك يامدبر الكائنات فى كل منها آية ظاهرة دالة على كمال حكمتك الباهرة ونستمطر من فيض سجالك وواسع افضالك صلاة وسلاما على من وطد دعائم الدين وشيده على أساس متين سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين والمرسلين وآله وصحبه الذين مهدوا سبل الفضل وأظهروا وسارعوا لامتثال قوله تعالى (قل سيروا فى الارض فانظروا)

ونسألك اللهم عزا وفخرا وتأييدا ونصرا لعزيز مصرنا الوحيد ومليك عصرنا الجديد من امتطى مطايا العزم وسلك سبيل التدبير والحزم فشمل فضله القاصى والدانى (أفندينا عباس باشا حلمى الثانى) عزيز ورث جميل المآثر كابرا عن كابر وجد فى تحصيل العلم فاجاده وأفاض على البلاد الرفاده

عزيز يظل السعد يخدم سدّة * يمر عليها كلما راح أو غدا

وأدم اللهم مجد عائلته وعزز بفضلك أكابر رجال دولته وأبطال حكومته واجعل لنظارة المعارف العمومية من ذلك حظا جزيلا وذكرا جميلا فى ظل ناظرها المبجل سعادة زكى باشا الاوحد ووكيلها اليقظ الامين سعادة يعقوب باشا ارتين

هـذا ولما منح بعض طلبـة دار العلوم الخديوية زيارة الآثار القديمة المصرية مع بقية من أذكياء المدارس العليا الذين حازوا فى مضمار العلوم مرتبة قصوى بصعيد مصر الذى كان محط رحال الملوك والاعيان فى غابر الازمان عهد الى ذلك البعض جمع رحلة عظيمة تنبئ عن وصف تلك الآثار القديمة فوفاء بالعهد وقياما بالوعد ألفناها وسميناها (القول المفيـــد فى آثار الصـــعيد)

فنرجوا أن يروق عند العقلاء وضعها ويجمل فى القلوب وقعها وأن تحسن بدايتها وتتم نهايتها

سبب الســـــياحة

مضى علينا نحن طلبـة دار العلوم حين من الدهر ونحن نتطلع للسـياحة لاسـيما فى القطر المصرى للاطلاع على ماخلفـه لنا الاول من المـآثر وتركوه من الابنيـة الهائلة والنقوش المتقنة الوضع والرسوم المحكمة الصنع وما خبؤه لنا من الاسرار فى هاتيك الآثار ومعلوم أن هذا القطر السعيد لعموم المصريين بمنزلة البيت للعائلة الواحدة ولا يحسن أن يجهل الانسان مافى بيتـه ويتقاعد عنه حتى يعلمه الاجنبى دونه وكلما رأينا توارد الاجانب وتزاحمهم على احراز هذه المزايا تشتد رغبتنا وتتوجه همتنا وتقوى عزيمتنا فنوالى الرجاء ونطيل التمنى والزمان يحول دون هذه الامانى فكأننا نتمنى عليـه الوصول الى بيض الانوق أو الحصول على الابلق العقوق وما زلنا نردد فى النفس هذه الامانى ولكنها

أمانى لاتدنى النوى غير أنها * تعلل منا أنفسا ملئت وجدا

الى أن طلع بدر السعد وسطع فى الآفاق المصرية وتلألأت أنواره وصارت واضحة الاشراق بجلوس الحضرة الفخيمة العباسيه على أريكة الخديوية المصرية فان هذه الحضرة أدامها الله لما كانت ترغب كثيرا فى توسيع نطاق المعارف انتهز هذه الفرصة جناب المسترجون كولـ وقدم باخرته المسماة (بالبرنس عباس) للمعارف وطلب منها أن تسمح لخمسين من المتعلمين بالسفر على هذه الباخرة الى الوجه القبلى على نفقته خاصـة

ليطلعوا على الآثار ويكتشفوا مكنون الاسرار سرورا بجلوس الحضرة الفخيمة العباسية على سرير المملكة وخدمة لشبان رعيته واستجلابا لعواطف سموه كما قيل

كل من فى الوجود يطلب صيدا * غير أن الشباك مختلفات

فاجابته المعارف وشكرته على هذا المسعى

ولما ورد علينا الخبر طفق السرور يلعب بنا والانشراح يستولى علينا وتيقنا أننا سنتوصل لدراسة هذه الآثار دراسة عيانية كما درسناها دراسة علمية ولا تسل عما شملنا من البشر والارتياح لما ينشأ عنها من الفائدة وحرصا على عدم ضياع الفوائد زينا هذه المجالة بما ينجم عن الرحلة من المنافع الجليلة وها كها مهذبة منقحة

أهمية السياحة

كثرة المكث فى المنازل ذل * فاغتنم سفرة بها تتفنن

ماجرى الماء فهو عذب زلال * واذا طال مكثه يتأسن

حقيق بنا أن نشد الرحال ونحث مطايا الترحال ونجوب البلاد ونقتحم عباب الاسفار ونشق غبار الشدائد لاستطلاع الفوائد اذ الشرف الرفيع والمجد الاثيل وبلوغ الآمال فى رياضة الابدان وتشحيذ الاذهان بالتنقل من مكان الى مكان

تنقل فلذات الهوى فى التنقل * ورد كل صاف لا تقف عند منهل

ومن تبصر رأى أن السياحة سلم الارتقاء وداعية التقدم ونبراس يهتدى بنوره من يريد السير الى مافيه صلاح عاجله وآجله

واذا كان المرء ذا عقل كامل وفكر سليم وجب عليه أن ينظر أولا الى أجل الامور نفعا وأجلها فائدة فيسعى اليه ويسير فى طلبه خصوصا مايعود على أمته وعليه بالرفاهية والتقدم

لما نافع يسعى اللبيب فلا تكن * لشئ بعيد نفعه الدهر ساعيا

فنعمت السياحة فرصة تغتنم وطريقا يسلك ومنتزها يقصد تجنى من رياضه ثمار

التقـدم وتقتطف من أغصانه أزهار العمران وعلى من يرغب فى تلك الثمار الشهية الطعم ويقصـد هاتيك الازهـار الحسـنة المنظر أن يخلع ثياب الكسل ويتسربل بلباس الجد غير مبال بارتكاب المشاق واقتحام الاخطار

فما استوى شرف الا على كلف * ولا صفا ذهب الاعلى لهب

أجل انما تشـيد دعائم التقدم على أساس السـياحة الوطيد ولا ريب فى ذلك فان من تصـفح صحائف التاريخ ناظرا فيها بعـين متبصر فطن يجد الامة الفينيقية لما أزالت دنس الكسـل وتطهرت من درن الخمول بماء الجد وغير الاجتهـاد وامتطت متن البحر ومفاوز البر متوشحة بالثبات والحزم وضربت فى الارض تبتغى من فضل الله استـولت على السعادة والمجد ونالت العز الباذخ والمجد الشامخ تلك أمة بلغت من المجد ذروته فارتقت جميع سكان البسيطة بما كان لها من نشر الصنائع ومبادلة المحصولات اللذين هما من أهم موارد السـعادة والرفاهيـة فقـد أنعم الله سـبحانه وتعـالى بها على النوع الانسانى فكانت وصلة بين أطرافه مؤلفة بين متفرقه جامعة بين متشتته لان حكمته جل وعلا اقتضت تفرق ماينفع الناس فى جميع أنحاء المعمورة فجعل فى هـذه البقعة مثلا معدنى الذهب والفضة وفى تلك معدنى النحاس والفحم الحجرى وهكذا وجعـل سـكان كل بقـعة فى احتياج الى مافى البقاع الاخرى من الخيرات ليقوم به نظامهم وتقضى به حاجاتهم

الناس للناس من بدو وحاضرة * بعض لبعض وان لم يشعروا خدم

وليس فى قدرة أية أمة من الامم أن تقوم باختراع جميع مايلزم لها من الصنائع حتى تكون فى غنية عما أجهد غيرها فيـه الفكر وأطال النظر فى اختراعه اذ كل أمة خصت باسـتعداد طبيعى لشئ مخصوص توفرت فى بلادها أسبابه وجعل السـياحة سبيلا لازدواج تلك الصنائع وخصائص هاتيك البلاد فتولد من بينها ماقرت به العين وارتاح له الخاطر وهل ينكر أنه بسير الامة الفينيقية فى هذا الطريق اتسع نطاق ثروتها حتى صارت تصـنع من عظيم السـفن مابه اسـتولت على كثير من الجزائر

والبقاع وتوقد فكرها ذكاء حتى توصلت الى استكشاف كثير من الاشياء المفيدة كالزجاج واللون الاحمر الارجوانى ووضع الحروف الهجائية وبالتناصر والتعاون وتمسكهم بالدين الذى هو الرابطة القوية لافراد الامة وجدهم فى طلب أرزاقهم قويت شوكتهم وارتفع شأنهم وعظم بأسهم وعز سلطانهم اذ من المعلوم أن الامة تقوى باتحاد أفرادها وارتباطهم بدينهم

فالدين بالملك يبقى * والملك بالدين يقوى

ومن فوائد السياحة استطلاع عوائد الامم ومعرفة أخلاقهم لاختيار الحسن منها وترك القبيح وبذلك تتسع دائرة المعارف وتزداد المعلومات قال تعالى (أولم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) تنديدا على من تقاعد عن هذا الغرض ففاتته الفائدة العظمى

وأعظم برهان يستدل به على فضل السياحة وكونها أساس العمران استكشاف تلك القارة العظيمة والممالك الرفيعة الشأن التى عم نفعها وعادت على أهالى أوروبا بل على جميع العالم بالفوائد التى يقف القلم دون ذكرها وينفد الحساب دون عدها ألاوهى قارة أمريكا التى تعد الآن فى مقدم القارات لوفرة غلاتها وجودة صنائعها وكثرة المستكشفين بها فلولم يكن فى السياحة الا كتشاف هاتيك القارة لكفاها شرفا ولا يقع بخلدك أن لتقدم الصنائع واستكشاف الخبايا حدا لاتجاوزه هو الذى وصل اليه مشاهير الامم فتتشبث بهذا الخاطر وتخلع دروع العزيمة متى وصلت الى هذا الحد ولو كانت خزائن بارى السموات ومبدع الكائنات تنفد من ملء حقائب الواردين لساغ لك هذا الركون وكيف ذلك ولو أن مافى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت نعماؤه ولا نضب ماؤها وكم استكشف الخلف مالم يصل اليه السلف وورد المتأخرون من المناهل العذبة مالم يرده المتقدمون مع ما كان بهم من شدة الظمأ تلك أشياء لاتدخل تحت حصر ولا تخص عصرا دون عصر فهذه قوة انتشار البخار والكهربائية قد أفعمتا الارض بالمنافع حتى اهتدى أهلها الى سبيل

التعارف والتعاون مستضيئين بنورهما سالكين طريق العمران والكسب بفوائد هاتين القوتين ومع ذلك لم تحم أفكار أهل العصر الغابرة حولها ولا توجهت قواهم العقلية اليها وانظر ماامتلأت به الاسماع من أخبار الاختراعات الحديثة ومانجم عنها من الفوائد الجمة التى عادت على أهل هذا النوع بما أنعم بالله وحسن حاله فلو تأمله الناظر الخبير وعرضه على محك الانتقاد متجردا عن الميل الى الكسل وحب التقاعد لعلم أن السياحة أساس التقدم والعمران الذى حصل به الاجتماع وتواصل المخلوقات حتى ارتقت على سلم الرفاهية والترف ولا تظن أن الاوطان لباس العز والرفعة وغيرها ثوب الذل والهوان فتلك أوهام ترد على من انكمش تحت رداء الجبن وانطوى على ضعف القلب ووهن العزيمة وانما العز بالسعى والكد والتغرب فى حب الرفعة

فالسمهرية ليس يشرف قدرها * حتى يباعد لدنها عن غابه
والعضب لايشفى امرأ من ثاره * الا بترك نجاده وقرابه

فعليك أيها المحب للتخلى عن الرذائل والتحلى بالفضائل بركوب البحار وجوب القفار لاستكمال المحاسن وبلوغ المآرب وهب ماتراه من المشقات لما تجتنيه من الثمرات

جدير بالعلا من يصطفيها * ويركب فى مطالبها الصعابا

وحيث أضأنا مصباح الاهتداء وكشفنا عن وجه الحقيقة نقاب الخفاء وتبين ماينجم عن السياحة وما يعود منها وجب امتطاء جواد الرحلة والاغتراب وقطع السباسب وانضاء الركائب من غير نظر الى احتمال ركوبها وكثرة مشاقها (فمن عرف المطلوب يحقر مابذل)

ومن أراد العلا عفوا بلا تعب * قضى ولم يقض من ادراكها وطرا
لابد للشهد من نحل يمنعه * لايجتنى النفع من لم يحمل الضررا

فمن وضع جنبه على مهاد الراحة حفت به الضعة واباس التقاعد لايقى حرّ ولا برد الخسارة والكسل لايؤخذ مزرعة فانه لايثمر (وهل يجنى من اليبس الثمار) ومن ركن الى وسوسة شيطان الكسل بغروره فأقعده عن التوشح بوشاح الجد احتوت

عليه الجهالة فصدّته عن السعادة واستحوذ عليه الشقاء فصدّه عن الرشد وسواء السبيل وحب الوطن والاهل لاينفى صاحب الهمة عن التسربل بملابس السعادة وهل فى مخالطة الدعة والسكون الا سمة العجز الذى لايثمر الا الذل

حب السلامة يثنى عزم صاحبه * عن المعالى ويغرى المرء بالكسل
فان جنحت اليه فاتخذ نفقا * فى الارض أوسلما فى الجو واعتزل
ودع غمار العلا للمقدمين على * ركوبها واقتنع منهن بالبلل
رضا الذليل بخفض العيش مسكنة * والعز تحت رسوم الاينق الذلل
ان العلا حدثتنى وهى صادقة * فيما تحدث أن العز فى النقل

فهل يحسن أن تأوى الى مواطنه وتلجأ الى معاقله وهل يستوى الساعى والمتقاعد أفلا أقل من أن تبذل الجهد وتشمر عن ساعد الجد وتقوم على قدم العزم فتدرك ماانشمل عليه الوطن السعيد وتعلم ماحوته دار عزنا ولا عذر تستند عليه ولا حجة تركن اليها فالسياحة فى الوطن هى الامر اللازم والشئ المحتم الواجب فعله حتى يصدق ماهو مشهور (وصاحب البيت أدرى بالذى فيه)

وجوب السياحة فى الوطن ابتداء

قبل الشروع فى هذا الموضوع نبين المراد من لفظ الوطن فان له معنيين عام وهو المسكن وهذا يشمل الروح والبدن والدار والدرب والمدينة والقطر والارض والعالم كله لان كلا منها مسكن فالروح مسكن الادراكات والبدن مسكن الروح والثياب مسكن البدن وهكذا ولكل من هذه الاوطان حد

ولدواعى المقام نقتصر على الحق الواجب للوطن الخاص الذى نحن بصدده وهو القطر الذى هو عبارة عن جزء من الارض تتخذه أمة من الامم مسكنا لها وهذا هو المراد بقولهم (حب الوطن من الايمان)

ومعنى حب الوطن ايصال المنفعة اليه وتوطيد دعائم السعادة به

ان المحب اذا أحب حبيبه * تلقاه يبذل فيه مالم يبذل

وهذا الحق الذى تجب عنايته وتتعين رعايته هو تقديمه على ماعداه والاهتمام بكل أمر يعود عليه بالعمران والتقدم وكيف لايكون ذلك مطمح الانظار الصادقة وهدف الافكار السليمة وفائدة الوطن فائدة ساكنيه فانما الاوطان هى السكان فاذا سعى الوطنى فى اصلاح وطنه فانما سعى فى نجاح نفسه وارتفاع شأنه فيحسن بذلك حاله ويصلح مآله فمن أحب وطنه انما أحب نفسه وحب النفس داعية المزاحمة وعزيمة العمل وموطد أساس الحضارة ومشيد أركان الرفاهية واذ قد ثبت فيما أسلفناه أن السياحة من أهم الامور نفعا وأجلها فائدة فيجب أن تكون أولا فى الوطن الذى له علينا من الواجبات ما ليس لغيره وكيف يتقاعس عن ذلك عاقل مع أن ثمار السياحة فى الوطن أسهل تناولا وأقرب جنيا وأشهى مأخذا منها فى غيره فان الانسان مساق اليها بفطرته مجبول على حبها بطبيعته فقد علم مالها من عاجل الثمرة وقريب الفائدة والمرء انما يسعى لنتيجة يتحصل عليها وكلما كانت أقرب كان حقها أوجب والا فما الفرق اذا بين الانسان الذى اختصه الله من بين العالم بمزية العقل وبين بقية الحيوانات بل والجمادات اذا كان ملقى فى دار لا يعرف مخباها ولا يدرى ماكمن فى زواياها انها اذن أحسن حالا منه وهو أسوأ حالا ومآلا منها فانه لايقدر على أن يقيم عذرا على كسله وعذرها واضح بين فقد رزق العقل وحرمته ومنح انقيادها له واستيلاءه عليها ووقعت فى ربقة عبوديته

واذا فتش فى جراب الحيل وما أعد للاعتذار عند تسديد سهام اللوم لم يجد شيأ يدافع به فهل يمكن الاعتذار عن هذا التقصير بعدم سهولة السياحة وتيسر معداتها وقد توفرت معدات السفر وأمنت عواقبه ولم تبق الآن صعوبة كما كانت أيام أسلافنا الذين استصغروا كل صعب بشرف نفوسهم وعلو هممهم حتى مهدوا لنا طريقا قويما وكانوا لنا اسوة حسنة

ولقد كان لهم جميل العذر أن استسلموا لجيوش المشاق وركنوا قليلا الى شئ من الراحة ولكنهم جزاهم الله خيرا لم يتركوا شيأ من عزائمهم الا استعملوه فى سبيل

التحصيل واستجلاب المنافع التى حسنت لمن بعدهم وجوه المكاسب وخففت وطأة المتاعب حتى تقدم الزمان رويدا رويدا واستكشف البخار وأحكمت صنعة السفن فسهلت المواصلات وتمكنت العلاقات وتقدمت التجارات وعرف الشرق الغربى واستكشف من المعمورة ما يضيق صدر البراع عن بث مجمله فضلا عن مفصله وانتقل العالم من حال الى حال ونهج فى أموره أجمل منهج وأفيده وقد توفرت ولله الحمد فى مصرنا معدات السياحة برا وبحرا فاما البر فطريقه الوابورات البخارية التى تبتدئ من شاطئ البحر الابيض الى أن تنتهى الى أسيوط بالوجه القبلى وستصل ان شاء الله بهمة الحضرة الفخيمة الخديوية الى جرجا[1] بل الى منتهى تخوم مصر وقد سهلت أجر الركاب فى هذه الايام الاخيرة وأتقنت الوابورات حتى كأن الراكب جالس فى غرفة من غرف بيته الا أن راكب الوابور يفضل ذلك الجالس برؤيته للاشياء الغريبة التى يشرف عليها الوابور أثناء المسير ولم تخصص الوابورات بعلية الناس حتى لايتسنى لمن دونهم وهم كثيرون أن يركبوا متون سفن البر لاجل الافادة والاستفادة بل جعلت عامة للكبير والصغير لكن على درجات مختلفه اعتبارا لاقدار الناس ومنازلهم والكل يصلون به الى مقاصدهم من غير تفاوت فى الوصول الى ماريدون والمرء لابهمه الا الوصول الى الغاية على أى حالة كان والذكى يصنع مايصنعه الغنى بغناه فليس المال فقط داعية الغنى بل الذكاء أيضا من دواعى الثروة فبدل أن كانت تستعمل القوافل لنقل عروض التجارة والفواكه التى ربما تغيرت قبل وصولها الى محل رواجها على طول الطريق وخطره وكثرة الزمن ومكابدة المشاق وذوق الآلام تكفلت الوابورات بذلك كله مع السهولة وقصر الزمن وأمن الطريق ووصول الفاكهة واللحوم من أقصى الغرب وأمريكا الى البلاد الشرقية وهى غضة طرية ونمت المتاجر فى قطرنا وتبودلت الصنائع وأما الوصول الى البلاد التى لم يمر

(١) وقد وصلت اليها الآن والكتاب تحت الطبع بعناية الحضرة الفخيمه وسيحتفل بافتتاحها الرسمى فى ٥ فبراير سنة ١٨٩٣

عليها الوابور فقد جعل الله فى بلادنا من الحيوانات القدر الكافى فخلق الخيل والبغال والحمير كما قال تعالى (لتركبوها وزينة) وقال تعالى (والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيـه الا بشق الانفس) وهى عندنا كثيرة فلا يصعب استعمالها فى المواصلة بين المدن التى لم تصل بينها الوابورات ولا السفن وأما المدن التى على ضفاف النيل من مصبه الى منتهى التخوم المصريه فالوصول اليها أسهل من السهل وجميع المدن التى على ضفافه هى الحرية بالمشاهـدة والاولى بالمواصلة لما لها من الاهمية فبعضها لتجارتها وبعضها لزراعتها وبعضها لآثارها وغـير ذلك كما شاهـدنا فى الوجه القبلى وعندنا أن الطريق البحرى قد صار الآن أسهل من الطريق البرى وذلك أن وابورات البخار فى الماء كثرت وهى على غاية من الحسن وقوة السير والمناسبة للذوق وهى على سطح الماء كالقصور الشامخة على سطح الارض غير أن تلك تسـير بالبخار الى حيث شاء راكبها فلله هذا السفر ما أحسن وأعظم فائدته وبالجملة فانه

اذا صحب الفتى جدّ وعزم * تحامته المكاره والخطوب

ولما أسـلفنا من مزايا السـياحة خصوصا مع سهولة طرقها جعلناها نصب أعيننا وكان من أهمها عندنا السـياحة لرؤية الآثار المصرية لاخذها جانبا عظيما من صحائف التاريخ الا أن العوائق كانت تحول بيننا وبين أمانينا والنفس الى مالم تر أشد شوقا منها الى غيره وما زلنا بين أمل يطول وموانع تحول ونحن نترقب الفرص لهـذا الامر ترقب الاعيـاد حتى سـمعت المقادير بما أمله الضمير وورد البشـير من نظارة المعارف بان المسـترچون كولك قد أجيب مطلبه لنقل خمسـين من شـبان المعارف للوقوف على الآثار بالوجه القبلى الى الشـلال الاول وكنا من هؤلاء الخمسـين

فحمدنا الله على بلوغ ما كان بعيدا وأخذ كل منا يتاهب ويستعد الى أن جاء يوم السبت الثالث عشر من شعبان المكرم سنة ألف وثلثمائة وتسع (١٣٠٩)

اليـــوم الاول

فركبنا العجلات وذهبنا الى محطة قصر النيل حيث مرسى الباخرة فركبناها (بسم الله مجراها ومرساها) ثم اهتزت القلوب هزة الوداع وشخصت الابصار وأصاخت الاسماع وأخذ كل منا يعد عدته ويصلح أهبته ويتفقد جعبته ويمشى فى أنحاء الباخرة متأملا فى مواضع الجلوس ومحال الفسح متلفتا ذات اليمين وذات الشمال كى يقف على ما احتوت عليه هذه السفينة من المعدات اللازمة للمسافرين وغير ذلك من المناظر النواضر التى يأخذ بالالباب مرآها ويدهش الابصار منباها محافظين على النظام والآداب حتى قدم علينا السرور ووافانا وافد الحبور بقدوم (سعادة يعقوب باشا أرتين) وكيل نظارة المعارف العمومية وعزتلو (ابراهيم بك مصطفى) ناظر مدرسة دار العلوم الخديوية وأخذا يوصيان بنا محافظى الارسالية وصاية الاب الشفوق بابنائه ويوصياننا بالعزم والحزم وادامة الاستقامة ثم ودعانا وداعا كان له وقع فى القلوب ودهشة فى العقول وانصرفا بالعز واليمن والاقبال وبعد أن بلغ كل منا مأمنه واستوى على سطح السفينة وزعت علينا أوراق أسماء المسافرين باللغة الانكليزيه فأخذنا نترجمها الى اللغة العربية وقلنا الآن ينبغى التعارف واحكام عرى المودة بيننا وبين جميع اخواننا المسافرين لما هو معلوم لدى كل متبصر أن التعارف انما هو محور تدور عليه رحا الحياة بل هو روح المودة وفلك سمائها وشمس ضحاها ومطية التعاون وعقد نظام التآلف اذ به تروج المتاجر وتتقدم الصنائع وتستنهض الهمم ومامن أمة سلكت سبيل التواد والتعارف الا ونالت المقاصد وتوسدت المآرب وبلغت الغاية وتحصلت على النهاية فاخذنا نبسط أكف الآمال ونحسن فى التعارف السؤال بين أفراد الارساليـة حتى صار الجميع كحلقة مفرغة لايدرى أين طرفاها وبنيت المودة على أساس متين

(وهاك جـدولا يشتمل على أسمـاء أفراد الارسالية)

جناب المستر دجلس دنلوب	رئيس الارسالية
حضرة السيد بك يومى	كاتب أول نظارة المعارف
« محمد افندى نافع	كاتب بالديوان وترجمان جناب الرئيس
« غنيم افندى سلامه	كاتب بالديوان
« على افندى بهجت	مترجم فرنساوى بالنظاره
« الدكتور حامد افندى صدقى	حكيم ثانى المعارف
« احمد افندى حمدى	مدرس العلوم الرياضية بمدرسة دار العلوم
« احمد افندى نجيب	مدرس جغرافيا وتاريخ بالمدرسة المذكوره
« الشيخ محمد سلامه	مساعد تدريس الفقه والرياضة بالمدرسة المذكوره
« اسماعيل افندى رأفت	مدرس جغرافيا وتاريخ بالمدرسة الخديويه
« المسيو فنديك	مدرس تاريخ وترجمه بالمدرسة المذكوره
« المسيو بكوس	مدرس جغرافيا وتاريخ ولغه فرنساويه بالمدرسه التوفيقيه
« محمد افندى عبد اللطيف	مدرس تاريخ وجغرافيا بالمدرسه المذكوره
« ابو زيد افندى فايد	مدرس اللغة الانكليزيه بالمدرسه الحمديه
« عبد المقصود افندى فهمى	مدرس اللغة الانكليزيه بمدرسة عابدين

(طلبة مدرســـة دار العـلوم)

حضرة الشيخ احمد الازهرى	حضرة الشيخ عبد المجيد العباسى
« « محمد المهدى	« « عطيه الاشقر
« « مصطفى الدمياطى	« « عبد العزيز خليل
« « محمد الابيارى	« « عبيد الشادلى
« « سعيد صالح	« « عبد الرحمن ابراهيم
« « محمد عاطف	« « مصطفى كامل

obeikandl.com

(تابع الجدول المشتمل على أسماء أفراد الارساليه)

(تلامذة المدرسة الخديويه)	(تلامذة المدرسة التوفيقيه)
حضرة عبد الله افندى لطفى	حضرة حافظ افندى حسن
« محمد افندى على المغربى	« محمد افندى درويش
« عبد الحميد افندى الشربينى	« محمد افندى احمد
« عبد الوهاب افندى حسن	« السيد افندى الحسنى
« محمد افندى ربيع	« حسين افندى فهمى
« على افندى الكيلانى	« محمد افندى ادلاور
« احمد افندى كامل	« زكى افندى حاتم
« محمد افندى رشدى	« موسى افندى ابراهيم
« محمد افندى رياض	« كامل افندى جبران
« على افندى سامى	« جورجى افندى ارمانيوس
« محمد افندى توفيق الترجمان	« فلبس افندى قلاده
	« سبتاى افندى صالح

وبعد أن تم التعارف وجلسنا نتجاذب أطراف الاحاديث فيما نحن بصدده نظرنا الى الباخرة ونظامها العجيب وترتيبها الغريب فوجدناها

سفينة قد كساها الحسن رونقه * فلن تضاهيها فى وصفها السفن

يخالها الرائى قصرا مشيدا ومنزلا وطيدا قد نبت عنها مثالب الاتراح وخفقت عليها رايات الافراح اذ نشر عليها العلم المصرى علم الوطن العزيز أمنه ورعايته فاستوت على الماء وتمايلت ولا تمايل الحسناء

كأن لها حكما على الماء كلما * تميل على أمواجه لان جانبه

وهى جميلة المنظر واسعة الفناء يبلغ طولها مائة وستين قدما انكليزية وعرضها عشرين وقوتها توازى قوة ثلثمائة حصان ومقدار ماتقطعه فى الساعة الواحدة

سبعة أميال انكليزية فى الذهاب وضعفها فى الاياب لمقاومة التيار لها فى الاول دون الثانى وقد أنشئت سنة ١٨٨٦ م

وهى مشتملة على ثلاث طبقات السفلى منها وينزل اليها بسلم تحتوى على صفين من الغرف بينهما طريق اتساعه نحو المتر فى كل غرفة سريران للنوم وفى انتهاء ذلك الطريق نحو مؤخر السفينة غرفة كبيرة فيها سرير واحد (ودكة) للجلوس وغير ذلك وكان بها جناب رئيس الارسالية المستر دجلس دنلوب وهذه الطبقة جزؤها السفلى فى الماء

وأما الطبقة الثانية ففيها صفان من الغرف ظهور بعضها لبعض وأبوابها متضادة الجهة بعضها يشرف على البحر من اليمين والبعض الآخر من اليسار وعلى جانبى السفينة حاجز حصين بينه وبين أبواب الغرف طريق يبلغ عرضه ٠٫٧٥ م (أى ثلاثة أرباع المتر) وفى مؤخر السفينة من هذه الطبقة رحبة قليلة الاتساع للجلوس وجميع هذه الغرف فى مؤخر السفينة واذا سار الانسان من الطريق الذى بين أبواب الغرف والحاجز متجها الى مقدم السفينة يصل الى رحبة هى محل جلوس الخدمة واعداد ماعليهم ويرى فى انتهاء السفينة جهة اليمين واليسار مما يحدد هذه الرحبة بيوت الخلاء ومن حسنها أن (أكرتها) عند ماتغلق تظهر كتابة من الخارج باللغة الانكليزية تدل على أن هذا المحل مشغول فاذا خرج من به وفتحت الاكرة ظهرت كتابة أخرى تدل على خلوه وبجوار هذه المحال حمامات على أتم انتظام كل منها عبارة عن غرفة فيها حوض عظيم من الصاج فيه ثلاث فتحات احداها لتوصيل الماء الى هذا الحوض بواسطة الآلة البخارية والثانية لتفريغه منه فى البحر والثالثة يأتى منها البخار لتسخينه

و يحدد هذه الرحبة من الامام الآلة البخارية و وراء هذه الآلة المطبخ وما يتبعه ومن الخلف حائط الغرف الذى فيه جرس وثمر أجراس الغرف ومن اليمين واليسار ببيوت الخلاء والحمامات وأما الطبقة الثالثة فيصعد لها بسلمين أحدهما فى رحبة

الخدم مما يلى الآلة البخارية والثانى فى الرحبة التى فى مؤخر السفينة وغرف هذه الطبقة كالتى تحتها وفى كل غرفة من تلك الغرف مرآة ودواليب (خزانات) وأبريق أو اثنان من الصينى لكل ابريق طبق كبير منه لغسل الوجه وقد كنا نستعمل ذلك فى الوضوء وقرص صغير فى الحائط مما يلى الباب يضغط الانسان عليه قليلا فيضرب الجرس الكهربائى الذى فى رحبة الخدم وتهتز نمرة الغرفة التى طلب الخادم بها ويوجد فوق الرحبتين اللتين فى الطبقة الوسطى رحبتان فيهما كثير من الكراسى والمقاعد وفوق الآلة البخارية غرفة الاكل

ويوقد السفينة ليلا بالنور الكهربائى ويطفأ قبل نصف الليل بساعة وجملة مايقال فيها انها باخرة على أتم مايكون من الترتيب والاستعداد الذى يعده العاقل دليلا على براعة صانعيها على أنها أحسن بواخر المسترجون كولئ بالنيل ولما حان وقت الرحيل أخذت السفينة تنعب بصفيرها إيذانا بالمسير واعلانا بالوداع فودعنا من رافقنا من الاصحاب الى هذا المكان وأخذت السفينة تختال فى مشيتها تميل طورا يمنة وتارة يسرة ونحن ننشد

ودع حب التقاعد والتوانى * فذلك لم يفد الا ضلالا
ولولا الكون بالافلاك يجرى * لما انتظر الجماهير الهلالا

وكنا نشاهد مبانى القاهرة من الجهة الشرقية للنيل ولها من المناظر الجليلة مايشرح الصدور ويستوجب السرور الى أن صرنا بين مدينة الجيزة وجزيرة الروضة الغنيتين عن الوصف فأخذنا نتزه الطرف فى مناظر هاتين البلدتين فانها تروق الناظر وتشرح الخاطر وبعد أن وارانا السير عنهما مررنا على بلدة توجد على الشاطئ الغربى تسمى بجزيرة الذهب وهى صغيرة تابعة لمديرية الجيزه وتجاهها فى وسط البحر جزيرة متسعة الاطراف خصبة تدعى أيضا بجزيرة الذهب تسمية لها باسم البلدة السابقة وهى محل معتدل الهواء موافق للصحة وبعد أن سترها البعد عنا أخذنا نشاهد اللجج والامواج فكانت تفد منقضة على الشاطئ ثم تكر راجعة كما قيل

انظر الى النيل فى أمواجه عجب * يأتى الى الشط أحيانا وينعطف
كأنه ملك تسعى الجيوش له * تقبل الارض طوعا ثم تنصرف

وكانت ضفاف النيل مزدانة بانواع النبات التى يسر العين مرآها ويشرح الصدر حسن تلونها كأن لسان حالها يقول

جميل الطرف يبصرنى * بعـــين زانهـا النـور
فأغدو منـــه مبتسما * ويغـدو وهو مسرور

فمن حلة خضراء كالزبرجد وزرقاء كالفيروزج وعقود أزهار قد نظمت جواهرها فى أجياد الغصون وجداول تسايل بلجين يروق الابصار ونبات ساقه متجمل بالاخضرار ونسيم يهب على تلك الاشجار وورق تصدح بأرق من نغمات الاوتار والنيل قد ستر تلك المناظر بخلعة كسائه ورواها بغير مائه

نهر يهيم بحسنه من لم يهم * ويجيد فيه الشعر من لم يشعر
فكأنه وكأن خضرة شطه * سيف يسل على بساط أخضر

وما زلنا كذلك حتى أتى وقت الغداء فبسطت لنا خمس موائد على أتم نظام فى قاعة متسعة فى الدور الاعلى من الباخرة كل مائدة منها يجلس عليها عشرة وكان الأكل على أحسن مايكون من الترتيب وملائمة الذوق ثم رست السفينة بنا على قرية البدرشين وهى وميت رهينه وسقارة واقعة على الشاطئ الغربى للنيل تابعة لمديرية الجيزه وأقربها الى النيل البدرشين والى الجبل سقاره وهذه البلاد الآن زراعيـة والبدرشين سوق عظيم أسبوعى تباع فيه الماشية وغيرها ومعظم مبانيها من اللبن وبها نخيل كثير وأرضها جيدة النبات وزراعة القطن بها قليلة ليست مثلها فى الوجه البحرى وغالب أرضها ذو طمى ممتزج بالرمال ولذلك تنبت نباتا حسنا ومياه النيل عند فيضانه تغطى طبقة عظيمة من الارض تمتد الى ابتداء الجبل الغربى وهذه القرى الثلاث مؤسسة على اطلال مدينة منف التى تسمى منفر ومعناها البلد الطيب وكانت شيدت على الشاطئ الايسر للنيل على مقربة من رأس الدلتا

البدرشين — (منف)

ومؤسسها منا أومنيس أول ملوك المصريين حسبما دلت عليه السير والآثار وكانت تلك المدينة فى غاية من العمران والاتساع فقد كان عدد أهلها سبعمائة ألف ومسطحها ثلاثين ميلا مربعة كلها بيوت متلاصقة وكان فيها من الآثار والاصنام والعجائب والدفائن ماأدهش المؤرخين وكان بها بيت فرعون الذى كان قطعة واحدة من الحجر وسقفه وفرشه وحيطانه من الحجر الاخضر ولم يبق له الآن أثر يذكر وكان بها سبعون بابا وكانت منزل الملوك من القبط الاولى والعماليق ومسكن الفراعنة وفى مدة العائلة السادسة فقدت ما كان لها من السلطة أيام الملك منا لان التخت كان نقل الى مدينة ابيدوس التى بقيت آثارها حتى الآن وتسمى بالعرابة المدفونة وسنأتى على ذكرها ان شاء الله تعالى وكانت الانهار تجرى فيها من تحت سرير الملك وعددها أربعة وكان فيها قبة فيها صور ملوك الدنيا وكانت كثيرة الجنود والعساكر ولهم أصول تحملهم على الشجاعة فكان العسكرى الذى يظهر الشجاعة يعطى علامة الشرف والذى يفر من الزحف يوسم بعلامة المهنة والذل بحيث تكون ظاهرة فيه وكانت لهم مجالس قضائية عدلية مؤلفة من ثلاثين قاضيا ومجالس شورى بمنف وعين شمس وطيبه وكانوا يجلدون الزانى ألف جلدة ويجدعون أنف الزانية والذى لايخلص المقتول من يد القاتل بلا عذر فجزاؤه القتل وكان الدائن لا يتسلط على ذات المدين بل على ماله وكانت قوانينهم تدل على الحث على العمل وقطع عروق البطالة وكانوا يتفحصون فى آخر كل سنة أحوال كل فرد من الافراد فيسألون مم يتعيش وهل معيشته من وجه حلال أو حرام فان كانت من حرام فجزاؤه القتل وكانت مملكتهم فى تلك الايام عادلة مستنيرة بالمعارف وكانت معاملة الخدمة بالحسنى وكان لفرعون يوسف فى كل سنة عيد عظيم يصنع لمولده كما هو جار اليوم فى الممالك المتمدنة وكل هذا يدل على ارتقاء درجة التمدين (التمدن) وطول مدته فى مصر قديما فليس التمدن خاصا بالازمان الاخيرة وانما ذوقياته مختلفة بما يلائم الطباع هذا وقد درست آثار تلك المدينة ولم يبق منها الآن الا بعض هياكل وبقايا يستدل بها على ما كان لسكانها

من العظمة والقوة ويوجـد على تلك البقايا لفظ (من نفر) أى المسكن الجميـل و (انب حت) أى المدينة الحصينة البيضاء ولعل المراد بها القلعة التى ذكرها مشاهير المؤرخين وكان بها معبودان الاول افتاح أى الفتاح ولقبه عند قدماء المصريين منظم الكون ويرسمونه على الآثار تارة متوجا بتاج الجعل (الجعران) واطئا بارجله تمساحا اشارة الى الانقلاب والتغير وتارة على شكل قوقعة مطلقة اليدين ويعنون بذلك الرمز استحالة الروح بعـد خروجها من الجسد الى نور يصعد نحو السماء وينضم الى نور الشمس ويوجد أيضا على تلك البقايا مايلفظ به هكذا (حت فتاح كا) ومعناه هيكل فتاح معبودهم وهـذا الهيكل اعتنى كثير من الملوك بتزيينه وزخرفته وقد نهبه الهيكوس مدة استيلائهم على هـذه البلاد والمعبود الثانى هو (سخت) أى حرارة الشمس المهلكة ويقال انها منوطة بعقاب المخطئـين ورسمها على شكل آدمى له وجه سبع وعلى رأسه صورة الشمس

واستمرت هذه المدينة قاعدة للملك مدة سبعين قرنا

وقد استولى على هذه المدينة (اسارهاردون) و (أسوربانيبال) من ملوك آسيا وخربها قمبيز ملك الفرس وقتل ولاتها وحكامها وكهنة هيكل معبودهم أبيس وبعـد أن أسست مدينة الاسكندرية فقدت منفيس ما كان لها من القوة والعظمة حتى صارت تعـد من نفائس بلدان مصر وفى مدة حكم تيودوسـياس أمر بتخريب هيا كلها وعمارتها فاصبحت يبابا بعد أن كانت مزدانة بالقصور والمبانى الفاخرة

ثم امتطينا الحمير وكانت عدتها خمسـين مستحضرة من طرف المستر جون وسرنا قاصـدين ميت رهينه التى شب فيها سـيدنا موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسـلام ولم نزل نحث المطايا حتى وافيناها من الجنوب الغربى واذا بتمثال هائل من الحجر الاسوانى يشبه الهضبة العظيمة تتوسم فيه ابهة الملك فهرولنا اليه واذا به تمثال رمسيس الثانى فأخذ كل منا يستطلع أجزاءه ورأسه جهة الجنوب ورجلاه للشمـال وله تاجان أحدهما كما يقول علماء الآثار يدل على ملكه للوجه البحرى

تمثال رمسيس الاكبر

والآخر للقبلى واحدى رجليه مرفوعة عن الأخرى وقد لعبت بصورته صروف الدهر وغيرت بهجته فترى رجليه مهشومتين من الفخذين وعلى فخذه الايمن صورة بنته وعلى جنبه الايسر صورة زوجته وطوله من رأسه الى قدمه يبلغ عشرة أمتار وعرضه متر ونصف والذى استكشفه (كاجليار الانكليزى) سنة ١٨٢٠ ميلاديه وكان قصده نقله الى متحف الآثار بلندرة ولثقل جسمه غادره مطروحا فى الطريق الموصل لميت رهينه وبتوالى الايام صار معظمه مغطى بطمى النيل وفى مدة الفيضان كان يغمر معظمه بالمياه ثم فى فصل الشتاء من سنة ١٨٨٦ الى سنة ١٨٨٧ م جمع أحد الانكليز المسمى (فريدريك) مبلغا وافرا من النقود بقصد رفعه من محله المنخفض والذى تم رفعه البكباش (ارثور باجونولد)

واسان حاله عبرة لمن جلس على بساط الغرور وأمن مكايد الدهور فهو يقول للزائر لايغرنك رغد العيش ونفوذ الكلمة وبعد الصيت فتركن الى غير العدالة والقسطاس المستقيم فلا بد أن ينفد الاجل والناس دول وتذهب الابهة أدراج الرياح ولكل أجل كتاب وكل شئ صائر للزوال وان التاريخ لك لبالمرصاد يضبط عنك الدقيقة والذرة من الاعمال فتفكر رويدا أيها المسترشد هل ترضى لنفسك أن تسود وجه تاريخك فتكون مثلا فى الغابرين وهدفا لسهام المنتقدين أظنك والعاقل بصير تختار غير هذا فما عليك اذا نهجت الصراط السوىّ وخلدت لك الذكر الحسن والثناء الجميل والاثر النافع فتكون ممن

ردّت صنائعه اليه حياته * فكأنه من نشرها منشور

هذا وعلى مقربة منه صخرة ارتفاعها نحو مترين ونصف وعليها صورتا الهين وقصيدة بالبربانى دالة على مدح مؤسس ميت رهينه وهذه الاسطر داخلة فى الصخرة

قال بعض من معنا من الافاضل ان كل كتابة داخلة تدل على أنها من أعمال مابعد العائلة الحادية عشرة ثم مشينا على الارجل قليلا واذا بتمثال آخر للملك المذكور وهو محاط ببناء من اللبن وعلى رأسه تاج للوجه البحرى فقط وهو مرتفع على (تمثال آخر لرمسيس الاكبر)

دعامتين رأسه للغرب ورجلاه للشرق ملقى على ظهره وهو من الحجر الجيرى وعلى صدره نقوش تدل على اسمه واسم الهه معناها رمسيس محبوب (امن رع) وفى عنقه لبة تشبه ما كان يصنعه كهنة الاسرائيليين ولعل هذا دليل على أنه كان صاحب السلطة السياسية والدينية وفى مقدمه جسم ثعبان عظيم ولعل هذا اشارة الى خطر الملك وأن معالى الامور مقترنة بشدائدها ويقال ان صورة الثعبان دالة على معبوده وهو ماحكاه كثير من الاثريين ولا غرابة فيه وذلك أنهم كانوا اذا رأوا الحيوان يأكل مايضر بصالحهم اعتقدوا أنه ملهم هذا الامر لصلاحهم والشفقة عليهم فكانت العوام تعبده ومستنيرو الفكر يعظمونه بل كان ماعدا أرباب الفكر العالى منهم يعبدون كل مخترع وآت بنافع فما نسمعه عنهم من عبادتهم لملوكهم آت من مغالاتهم فى تعظيمهم وبعضهم كان يعتقد أن الثعبان وصلة لاله الشر فكانوا يعظمونه خوفا من الهه وانا وقد استنارت العقول وانجاب حجاب الجهل قد نشاهد من العوام عند زيارة أضرحة الاولياء مايقرب من هذه المغالاة وهى أعمال نهانا الشارع صلى الله عليه وسلم عن قربانها وهى باقية فينا بحكم الوراثة بقيت من قرون تعد بالعشرات الى هذا الجيل ولم يدمرها انتشار الشريعة السمحة والصورة الاولى كانت موضوعة أمام هيكل الاله فتاح السابق ورمسيس المذكور من ملوك العائلة الثامنة عشرة صاحبة الشهرة والصيت وله تماثيل كثيرة منتشرة فى أنحاء القطر قالوا ولو عاش مائتى سنة ماأمكنه أن يصنع هذه التماثيل وانما كان من عادته أن يمسح أسماء الملوك ويجعل اسمه مكانها حبا فى الشهرة وقد صرح بذلك هو فى بعض كتاباته

ومما أعجبنا أن وجه الصورة الغريبة تظهر عليه سيما الحلم والاعتبار وهى متناسبة الشكل حتى لو وضعت نسبة بين جثته ورأسه لوجدتها كالنسبة بين اصبع مولود وجثته وهذا يدل على المهارة فى فن النحت والتصوير الذى شهدت لهم به الامم وقد استغرقت المشاهدة منا نحو نصف ساعة ولعمر الحق ان قدماء المصريين كان

لديهم من الاحساس مايمدحون عليه اذ اقامتهم هذين التمثالين لهذا الملك العظيم وعدم تكسيرهما بعد موته دليل على أن أفعاله العظيمة أثرت فى حواسهم فعشقته جوارحهم فاقاموا له تمثالين عظيمين تذكارا له ومكافأة على فعله من الاعمال الحميدة وتحريضا لمن أتى بعده من الملوك وغيرهم على أن يسلكوا الخطة الممدوحة والطريق المستقيم ويفعل ذلك الامم المتمدنة الآن فهذه أمتنا المصرية قد أقامت للمرحوم ابراهيم باشا تمثالا عظيما بميدان الازبكية أمام صندوق الدين القديم تذكارا لهذا الهمام الجليل الذى فعل أفعالا عادت عليه وعلى جميع الامة المصرية بالفخر فاستوجب الثناء من العقلاء وتمثالا آخر لمؤسس العائلة العلوية وهو الملك الحازم محمد على باشا بميدان المنشيه فى مدينة الاسكندريه وان هذا الرجل الجدير بان يفتخر العالم الانسانى عموما بافعاله وأعماله الغنية عن الاسهاب وتلك الامة الانكليزية أقامت أيضا تمثالا لبلمشرون وكذلك الامة الفرنساويه صنعت تمثالا لتيرس والطليانية لكافور وكذا كل من قام بما عاد على وطنه بالخير والسعادة الدائمتين فترى أهل وطنه يحافظون على بقاء صورة ذلك الرجل الجليل وتلك حلية تحلت بها الامم المتمدنة وهى من عادات السلف التى يفتخر بالمحافظة عليها الخلف

ثم حركنا الركاب مغربين نحو بقية الآثار خلف سقاره التى يظن أن اسمها مشتق من اسم اله مصرى يسمى (سيكر) وكانت مقبرة لقدماء مصر ويبلغ طولها أربعة أميال ونصفا وعرضها ميلا واحدا ثم ارتقينا الجبل ونحن بين آكام ترفعنا ووهاد تسترنا والرمال هنالك من أعجب العجب وهى فى الوهاد كالمياه فى البحيرات ترى خطوط الرمل متعرجة نسجتها أيدى الرياح كما تنسج الامواج على سطح البحر باشكال بديعة وكنا نعد ماقالته العرب فى الرمال من خزعبلاتهم فاصبحنا ونحن نستصغر ما قالوه فيها وأنشد لسان الحال

لاتوجه للانتقاد سهاما * قبل علم لما عساه يكون
وانتهج منهج المدقق دوما * وتحقق فالظنون ظنون

وبينما نحن نسرح النظر فى بحيرات الرمل ونجعـل وصف المياه فى مجاريها للرمال فى مهاويها اذ ظهر لنـا هـرم مدرج قد عبثت به أيدى الزمان وأصابتـه سهام الحدثان ويظن أن مؤسسه الملك الرابع من العائلة الاولى التى حكمت ٣٠٥ سنين وكان حكمها قبل الهجرة بنحو ٥٦٢٦ سنه (الهـرم المدرج)

وقد سمى مانيتون هذا الملك (نيفن) واسمه بلغة ابيدوس (آتا) وفى عصره حصلت مجاعة عظيمة وسمى الهرم بذلك لتركيبه من ست درجات سـفلاها مسـتورة بالتراب وارتفاع تلك الدرجات على التوالى ٣٨ , ٣٦ , ٥ , ٣٤ , ٣٢ , ٣١ , ٢٩,٥ قدما وطول قاعدته من الغرب الى الشرق ٣٩٦ قدما انكليزية وعرضـه ٣٥٢ وارتفاعه ١٩٧ وكان يرى من بعد قليل الارتفاع حتى اذا سترنا ظله عن أشعة الشمس فاذا هو يعانق السحاب فكان الواحد منا اذا أراد أن يرى قمته وضع يده على رأسه مخافة سـقوط ما عليها وهو أقدم هرم بنى فى مصر وبناؤه غريب جدا وذلك أنهم صـقلوا حجارته صقلا تاما حتى صارت أسطحتها مستوية جدا فاذا وضعوا قطعة على أخرى التصقت بهـا أشـد من التصاقهما بمادة أخرى لعـدم تخلل الهواء فيما بينهما حتى يعادل ضغط الهواء من الخارج فلا يمكن فصلهما الا بعسر وربما احتيج فى فصلهما الى آلة وذلك مما يشـير الى أن العلوم الطبيعية قديمة جدا ليست بالحديثة العهد كما وهم فى ذلك من وهم اذ لابد أن يكون هـذا الهرم عمل رجال برعوا فى المعارف خصوصا الرياضيات والطبيعيات وشكل هذا الهرم مستطيل وجوانبه ليست مقابلة للنقط الاصلية بل زواياها موجهة الى مهاب الرياح حتى لا يتسـنى لها الضغط الذى ربما أخل بالبناء فى زمن قصير وهو مشـيد من حجر جيرى وبمرور الازمنـة وتوالى الدهور وهنت جوانبه وتهدم كثير من بنائه

هم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبألسن البنيان

ان البناء اذا تعاظم شأنه * أضحى يترجم عن عظيم الشان .

ولما بارحنا الهرم المدرج قليلا وصلنا بيت مريت باشا الفرنساوى ناظر متحف الآثار المصريه سابقا وهو مبنى باللبن وعلى حداثته قد ضرب البلى عليه خيامه فجلسنا لنستريح ونشنف الآذان بسماع ملخص الآثار الآتية من الاخبار وكان هذا الرجل اتخذ ذلك البيت حين كان يتفحص الآثار هنالك على مصاريف الحكومة حرسها الله تعالى وذلك الرجل قد بذل كل عنايته فى استكشاف الآثار بقصد ترقى التاريخ القديم وقد حصل من ذلك على حظ وافر ونرجو أن يبقى البيت الذى اتخذه هو وعماله مسكنا عند مكابدتهم الاشغال الاثرية ليكون تذكارا لذلك الرجل الذى شكره التاريخ وهو الآن خلى من السكان وفى رحبته صورة حديثة على هيئة أبى الهول وهى صغيرة فى قامة الكلب

(مدفن العجول) وبعد مضى نحو ثلث ساعة سرنا راجلين قاصدين مدفن العجول المعروف باسم سرابيوم وهو يشتمل على جميع مدافن العجول التى وجدت فى منفيس ويقول المصريون ان أم العجل تلده بسبب سقوط صقر عليها من السماء وأما هى فى نفسها فغير صالحة للتناسل وسيأتى وصف العجل وكان ذلك المحل مسورا كباقى المبانى المصرية وكان على جانبى مدخله عشرة تماثيل لأبى الهول (أبو الهول تمثال سبع وجهه وجه امرأة) واستكشف المدفن المذكور المسيو ماريت باشا سنة ١٢٦٨ هجريه الموافقة لسنة ١٨٥٠ م وكان سبب ذلك أنه عثر على صورة لابى الهول مكتوب عليها أوزدريش انبس فاستنتج أنها نقلت من هنالك فاسرع فى البحث والحفر وعمل غاية مجهوده حتى أوقعته أتعابه على صور لابى الهول مكونة لشارع وعلى أحد عشر تمثالا من فلاسفة اليونان وعلى مقابر العجول الى أن وصلنا مضيقا نازلا فى الارض والرمال منهمرة فيه كالسيول عند انسيابها من قمم الجبال فنزلناه ولما وصلنا الباب تناولنا الشموع ودخلنا منعطفين ذات اليمين فاذا هو مستطيل وسقفه مرتفع محدب وجميعه نقر فى الجبل وعلى يمين ويسار الممر توجد محال بكل منها تابوت من صخر الجرانيت الازرق طوله متران وعرضه متر ونصف كان معدا لوضع ميموت من

العجول التى كانت تعبد لديهم وهذا التابوت مصقول من الخارج والداخـل مزين بالنقوش العجيبة من الخارج وبعضها يوجد عليـه غطاء من جنسه وعدد التوابيت الموجودة هنالك ٢٣ وفيـه عطفات أخرى خاليـة من التوابيت ويؤخذ من نقوش القبور أنها وجدت فى أزمان مختلفة وأن أقدمها من مدة حكم امينوفيس الثالث قبل المسيح بالف وخمسمائة سنة وكان لاستكشاف تلك القبور أهمية عظمى لما وجد على حيطانها من الآثار التاريخيـة الكثيرة المفيـدة حتى فتحت بابا واسعا للدخول فى التاريخ المصرى وذلك أن جداولها الصغيرة تبين السنين والاشهر والايام لحكم الملك الذى فى مدته ولدت وتوفيت تلك العجول ولم يزل أربعة وعشرون قبرا فى مواضعها وأبعادها الثلاثة بالقدم ١٣ و١١ و٨ وليست العجول الآن فى توابيتها لان الرومانيين حين استيلائهم على الاقليم المصرى أحرقوها وقال بعض من نثق به ان مريت باشا المتقدم حين استكشافه هـذا الاثر وجد بعض العجول فاودعها متحف الآثار المصرية وكانت العبادة لنوع خاص من العجول البقرية وهو ان يكون أسود اللون فى جبهتـه غرة بيضاء وعلى لسانه شعرات تشبه الجعل (الجعران) وكان هذا الصنف نادر الوجود فى البلاد المصرية حتى انه لم يكن متيسرا لهم فى كل الاوقات بل ربما مات ما عبدوه وبالبحث لم يجدوا آخر فيـه الشروط السابقة فيمكثون لابسى الحداد مقيمى الاحزان حتى يجدوا آخر بهذه الصفة

ولا غرابة فى عكوفهم على عبادة العجل لما أسلفنا من أنهم كانوا يقدسون كل حيوان نافع والعجل هو الحيوان المهم لديهم فى ذلك الوقت الذى لم يوجد فيه حيوان مثله يعتمدون عليه فى أشغالهم فانهم كانوا يحرثون عليـه الارض ويحملون عليـه الاثقال ولم يكن يوجد فى ذلك الوقت حيوان يقوم مقامه

(مدفن رئيس كهنة العائلة الخامسة)

ثم ركبنا المطايا قاصدين مدفن (رى) رئيس كهنة العائلة الخامسة وقد حاز فى زمنه درجات الفضـل العاليـة وذلك انه كان عضوا فى المجلس الملوكى مراقبا للاعمال وكاتب المجلس وكاتم أسرار الملك الى غـير ذلك وكان من عائلة حقيرة فاختبره أحد

الملوك فوجده حازما صدوقا ذا أفكار سامية فارتاح اليه كثيرا وأهداه الى احدى أميرات العائلة الملوكية المسماة (نفر) ليكون قرينا لها وقد رقى كثيرا من المناصب مدة حكم (كاكاع) و(زورنرع) من العائلة الخامسة والقبر المذكور مغطى الآن بالرمال مع أنه كان ظاهرا على وجه الارض فلم يمض ربع ساعة حتى وصلناه وهو موضوع فى الشمال الشرقى من مدفن المجول وقد بنى قبل المسيح بنحو ٣٥٠٠ سنة فدخلناه من مضيق بين حائطين من الحجر الجيرى كلاهما محلى بالصور الغريبة وكنا نظن حين اطلاعنا عليهما أن الحكومة صنعتهما حديثا للطلاوة التى تعلوهما فلما علمنا أنهما قديمان أخذ منا العجب مأخذه وقال لسان الحال

أتظن أن العلم لم * يك من قديم الاعصر
هذى الرسوم تريك ما * يخفى عليك فاقصر

هذا والناس كلما رأوا غريبة انحازوا اليها واستفسروا ذوى الرأى عنها وألوان النقوش زاهية كانها لم تكترث بمر الزمان ولا تعاقب الحدثان حتى انتهينا الى باب المدفن واذا بوجهته قد تحلت من أعلاها بصورتى هذا الكاهن وزوجته وكانت من بنات الملوك أرباب الشهرة والصيت ثم أوقدنا الشموع لزيادة الوضوح ودخلنا فاذا الذى رأيناه من قبل من الرسوم والتصاوير لايعد شيأ فى جنب مارأيناه فى الداخل وانا نذكره ملتمسين للقلم جانبا من المعذرة اذ لم يستطع أن يوفى بحقيقة الوصف فنقول

هو محل مستطيل الشكل متناسب الوضع قائم سقفه على عمودين وحيطانه الاربع محلاة بصور بديعة الوضع جميلة الصنع وكلها دالة على أحوال المعيشة من صناعة وتجارة وفلاحة وخدمة وصيد وأعياد ومواسم الى غير ذلك فترى الصناع على اختلاف أنواعهم والاسماك فى النيل على تباين الاجناس وتغاير الاشكال والغادات تحمل الفاكهة فى آنية تشبه الاوانى المستعملة عندنا لذلك (السبت أوالمشنه) ومنهن من يحملن المشروبات والرعايا تزدلف بالهدايا وترى فى بعض الجهات الحروب قائمة

على ساقها وفيهم الطاعن والشارد والصريع والصارع وهـذا ينسج والآخر يذرى الحب فى بيدره وذاك يصطاد والآخر يحرث الارض ومنهـم من هو خاص بخدمة هذا الكاهن وتقديم الادوات المنزلية اليه وفيهم الشيوخ والشبان ومنهم الجاثى على ركبتيـه والمطاطئ رأسـه الى غير ذلك وفى منتهى الجهة المقابلة للباب على يمين الداخل صخرة مرتفعة نحو ثلث متر كانت تذبح عليها القرابين وقريب منها الى جهة الباب محل يشبه المحراب يسمونه بمحل الستارة وهو فى غاية اللطافة كأنه بنى يوم دخلناه ولقد أذكرنا هذا المنظر العجيب قول بعض الاندلسيين للملك الناصر حينما بنى الزهراء وأعجب بها

يابانى الزهراء مستغرقا * أوقاته فيها أما تمهـل
لله ما أحسـنها رونقا * لو لم تكن زهرتها تذبل

فقلنا ياللعجب كأن الشاعر عنى بكلامه هذا الزهراء وما شاكلها على أن هـذا أقدم منها بألاف من السنين مع أنه قد أخذ زخرفه الآن وازين

وفى الحائط المقابل للباب فتحة مستطيلة قاعدتها نحو خمسـة ديسيمترات مربعـة وارتفاعها نحو ديسيمترين مرتفعة عن الارض نحو قامة توصـل الى المحل المدفون فيه الكاهن (تى) المذكور وكان من عقائدهم أن الميت يتغذى ويسمع ويرى فكانوا يرفعون اليـه الشكاوى ويقدمون اليه الخبز بقذفه من هـذه الفوهة وهذه العوائد لم تزل مستحكمة فى بعض الجهات الآن بل مانشـاهده من العادات الحالية أغرب من هذا عن المتقدمين ويظهر من هذا أن جرثومة العادات باقية فى الطباع تتوارثها الابناء عن الآباء جيـلا بعد جيـل غير انها تحسن بعض الحسن بازدياد المعلومات وتكسر حدتها باستنارة الافكار

وما هذه الاخلاق الاعوائد * فمنهن محمـود ومنهـا مذمم

(هرم أوناس) وبعـد أن قضينا العجب مما شاهـدناه بارحناه ونحونا هرم أوناس ويسمى باللسان المصرى القديم (نفرعو) وهو موضوع فى الجنوب الشرقى من الهـرم المدرج وقد

فتحه وطهره المسيو ماسپرو على مصاريف الخواجه كولٌ سنة ١٨٨١ ويبلغ ارتفاعه اثنتين وستين قدما وطول أضلاع قاعدته مائتين وعشرين قدما فمشينا قليلا ثم صعدنا على أكمة هو فوقها فاذا بناؤه قد عمل فيه الزمان وهو قليل الارتفاع تظهر عليه الكآبة كانه كوم حجارة من أنقاض بناء قديم فقلنا وهل هذا مما يقصده السياحون ولم يتمكن هذا الخاطر من قلبنا حتى أدركنا بابه واذا هو فى الارض بميل عظيم فدخلنا فى سرداب طويل سقفه مرتفع قليلا فمشينا فيه محدود بين فلما انتهينا الى الداخل وجدنا فيه ثلاث قاعات بعضها موشى الجدران والبعض عاطل وقد وجدنا هنالٌ قبرا من رخام أسود مغطى بغطاء وفى داخله عظام جثة (أوناس) وهو آخر ملوك العائلة الخامسة وقد حكم ثلاثين سنة وهذه القاعات متداخل بعضها فى بعض ولبعد عمق الهيكل وضيقه من الداخل تخلخل الهواء قليلا فاضطر الناس للخروج فلما انتشقوا الهواء سرى عنهم ما ألم بهم وكأنما نشطوا من عقال وهنالٌ آثار لم نرها وهى

(هرم تتا) موضوع فى الشمال الشرقى من الهرم المدرج وفتح سنة ١٨٨١ و (تتا) أول ملوك العائلة السادسة وحكم خمسين سنة وقتله أحد حرسه والعرب القاطنون هنالٌ يسمونه هرم السجن لاعتقادهم أنه بنى بجانب سجن سيدنا يوسف الصديق على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم السلام ويبلغ ارتفاعه ٥٩ قدما وطول أضلاع قاعدته ٢١٠ أقدام وسطح قمته ٥٠ قدما وبينه وبين هرم أوناس مشابهة تامة فى وضع البيوت (القاعات) والمجازات وترتيب مشتملاته من نقوش وألوان مزخرفة وقد تكسر هذا الهرم فى الايام السالفة وعبث بحائطى قاعة القبر القوم الذين كانوا يبحثون عن الكنوز والامتعة داخلها (هرم تتا)

هـــرم بيبس الاول

هو موضوع فى الشمال الشرقى من الهرم المدرج وأحد الاهرام الاصلية بسقاره وارتفاعه ٤٠ قدما ومحيط أضلاع قاعدته ٢٧٠ قدما ويسميه أهل تلك الجهة هرم

الشيخ أبى منصور وقد فتح سنة ١٨٨٠ وهو يشبه هرم أوناس وتتا غير أن هنالك فرقا قليـلا فى الزخرفة وهو أكثر تخربا من جميع تلك الاهرام وذلك انه بنى باحجار القبور القـديمة العهد جدا بالاضافة الى زمنـه وقد كسر القبر الجرانيتى لاستخراج الجثـة ووجدت العظام ملقاة حوله على الارض وغطاء التابوت وجد أيضا مكسرا بجانبه ووجد فى قاعدة القبر صـندوق جرانيتى ورداء صغير ملآن باوان من الرخام والنقوش التى على جدره دالة على طبيعة الاقليم كالتى على هرمى أوناس وتتا وقد رأى بعض الباحثـين أن الهـرم المذكور اختلسـه شخص يسمى بيى متأخر جدا عن زمن العائلة السادسـة واسم هـذا الهرم باللسان المصرى القـديم كاسم مدينة منفيس (منفر) وكان قد خصص له عدة كهنة وقسوس هذا وبيس الاول هو الملك الثانى للعائلة السادسة وحكم ثلاثا وخمسين سنة وامتدت سلطنته على مصر باسرها وحارب أهالى شـبه جزيرة سيناء ويقال انه أقام مثله فى هيليوبوليس (المطريه) وأنه أحـد واضعى أساس هيكل دندره الشهير ونجاحه فى الحروب وشهرته بالفتوح بسبب نباهـة ومهارة رئيس ضـباطه المسمى أوتا الذى قد ظفر بهاجمى مصر مرارا من جهـة حدودها البحرية والشرقيـة وهنالك قبر (بتاح حتب) على مقربة من بيت ماريت باشا وكان صاحب القبر المذكور رئيس كهنة القرن الخامس

ثم نزلنا الاكمة وسرنا نقصد الباخرة بشاطئ البدرشين. وبارحنا

ديارا عليها من بشاشة أهلها * بقايا تسر النفس انسا ومنظرا
تسرك طورا ثم تشجيك تارة * فتراح تأنيسا وتشجى تذكرا

وقطعنا عمر الطريق فى مفاكهات بعجيب الآثار وما دار فى الاعصار هـذا وكنا نعمل فكرنا فى السبب الذى سهل لهؤلاء الناس تشييد هذه الآثار الهائلة التى تقصر دونها أضخم دولة الآن على ظهر المعمورة فلاح لنا أنه لابد من أن يكون السبب هو تمام الانقياد للملك واعتقاد الرعايا من جهـة الدين أن الملك هو الضار النافع وأن مخالفة أمره فى شئ هو الشقاء الابدى وموافقتـه هو النعيم السرمدى فاذا تنساق

الكافة بسائق الدين وهو أقوى وازع والواسطة فى هذا كله الكهنة الماهرون الذين استأثروا القلوب وقبضوا على زمام الافكار يحولونها الى حيث شاؤا ومما يؤيد هذا أنهم كما تقدم كانوا يؤلهون كل مخترع لقانون أو علم أوفن وكانت العلوم سرية مختفية عن العوام خاصة بحكمائهم وأمناء ديانتهم وكانت رموزا بينهم فهؤلاء العوام عند مايرون الامر الغريب الذى لايدرون طريق مأخذه لايسعهم الا عبادة فاعله لاعتقادهم أن بيده تصريف الامور يقلبها كيف شاء فينقادون له انقياد العبودية فالكهنة فى ذلك الزمن هم الذين كان بيدهم ملاك الامر

وسبب جعل مدخل الاهرام ضيق المسلك منحدرا قليل الارتفاع أمور منها أنه يمكنهم اخفاؤه بسهولة حيث أرادوا ذلك ومنها أن المدفون به ملك كان يعظم فى حياته بالايماء له القريب من الركوع فكذلك يكون الحال بعد وفاته لمن أراد الدخول عليه ثم وصلنا السفينة بعد أن هرم النهار وأخذت الزيارة من الزمن أربع ساعات وتحركت الباخرة فى الساعة الخامسة بعد الظهر وما زالت تشق عباب النهر ونحن نتنزه الطرف فى المناظر العجيبة حتى جاء المساء وحاذينا قرية العياط فرست بنا الباخرة بقصد المبيت بهذه الجهة

(اليوم الثانى) وفى الساعة السادسة صباحا من يوم الاحد الرابع عشر من شعبان سنة ١٣٠٩ سارت بنا السفينة وكانت الريح شديدة فى هذا اليوم حتى علا النهار وصرنا تجاه بلدة ميدوم التى فى الشاطئ الغربى للنيل وشاهدنا هناك على بعد عظيم هرم ميدوم وتسميه العرب هناك الهرم الكذاب ويظهر أن عدم مشابهته للاهرام الاخرى سبب لهذه التسمية وقيل ان الذى بناه هو الملك (سنفرد) أول ملوك العائلة الرابعة ولكن لم يطلع الباحثون على أدنى اشارة تدل على ذلك ويبلغ ارتفاع ذلك الهرم نحو ١١٥ قدما ويشتمل على ثلاث درجات ارتفاع أولاها ٧٠ قدما والثانية ٢٠ قدما والثالثة ٢٥ ولم يتم وحجره من الجبل المقطم والمدخل فى الجهة الشمالية ولما فتح حديثا وجدت قاعات القبر خالية ويظهر من هذا انه فتح فى الازمان السالفة ونهب

وفى الجهة الشمالية منه عدة مصاطب فيها العائلة الملوكية وأشهرها مصطبة (نفرمات) أحد رؤساء مقاطعاته ومصطبة (أتت) زوجته ونقوش هذه المصاطب وكافة الرسوم مشابهة لما فى سقارة ثم مررنا على مدينة الواسطة وهى المدينة الشهيرة التابعة لمديرية بنى سويف التى يبتدئ منها الفرع الحديدى الموصل لمدينة الفيوم وكنا نستنشق الاهوية المعتدلة ونسرح الطرف فى بديع النباتات الزاهرة حتى حاذينا قرية بياض (التى هى من أعمال المديرية السابقة وتوجد على الشاطئ الشرقى للنيل ومن جبلها يؤخذ الحجر الشهير بالمرمر وأول من استعمله فى الابنية الشهيرة فى هذه الازمنة الاخيرة هو مؤسس العائلة العلوية الخديوية المرحوم محمد على باشا فانه بنى مسجد القلعة المشهور منه ولم يحدث فى خلده أنه يأتى به من بلاد ايطاليا كما يفعل جمهور الناس الآن غيرة على محصولات الوطن الطبيعيه وحبا فى رواجها وحرصا على عدم اخراجهم الدرهم منه اللهم ارحمه رحمة واسعة وجازه خير الجزاء) ولم تأت الساعة الرابعة بعد ظهر هذا اليوم حتى تقابل الوابور المسمى رمسيس الاكبر بالباخرة التى تقلنا تجاه الفشن وهى احدى مراكز مديرية المنيا الآن وكانت قاعدة المديريه سابقا وبها سوق أسبوعى عظيم يجتمع فيه خلق كثير لتبادل المتاجر وخصوصا الحبوب والماشية والاقمشة وبها سوق آخر دائمى وعدة جوامع شهيرة منها جامع الشيخ شمردل وبها ضريحه وأغلب أراضيها تابع للدائرة السنيه وكان بها معمل عظيم لاستخراج السكر ولكنه أبطل بعد أن بيع وأغلب بيوتها مؤسس باللبن وبها منازل كبيرة مبنية بالآجر فى غاية من الزخرفة وهذه المدينة قديمة جدا واسمها القديم القبطى (فنش) بتقديم النون على الشين وهى اخذة فى التقدم والعمران وكان بهذه السفينة (رمسيس الاكبر) جناب المستر جون كولت عائدا من اسوان وبعد أن وقفت الباخرتان وفد علينا على زورق ومعه بعض حاشيته وحينما استقر على الباخرة التى تحملنا استدعى جميع من بها الى مكان واحد وألقى عليهم خطابة باللغة الانكليزية وكان المسيو (فنديك) يعرب لنا معانيها أولا فاولا وهاك تعريبها

(ليس غرضى أن أكلمكم كثيرا خيفة ضياع الوقت وانما الغرض القاء عبارة وجيزة وأرجو أن تعيرونى آذانا صاغيه وقلوبا واعيه وهى أنى قابلت المغفور له الخديوى السابق فوجدته متأسفا كثيرا على المصريين الذين ترشحوا بالعلم لتولى المناصب العالية ولم يساعدهم الوقت على السياحة فى القطر المصرى لمشاهدة مافيه من الآثار ثم قال انى لم أجد من المصريين من تجوّل فى أنحاء بلاده الا القليل جدا مع أنا نجد السائحين يأتون من أمريكا وأوربا ليستفيدوا من الآثار المصرية عند مشاهدتها فيرجعون وقد ملؤا الوطاب من آثار قدمائكم واستفادوا مالم يستفده ابن الوطن لانه لم يشاهد ماشاهدوه وانى على يقين من أنكم ستولون بعض المصالح الاميرية فى حكومتكم فيجب عليكم أن تطلعوا على تاريخ قدمائكم حتى تديروا الاعمال بما تقتبسون من أنوار آثارهم فهلموا الى اغتنام هذه الفرصة ولا تكونوا كاحد الشبان الذى قابلنى فى الوجه القبلى مندوبا من قبل الحكومة السنية لمهمة حيث سألته هل زرت هذه البلاد فيما سلف فاجابنى أنه لم يسبق له رؤيتها من قبل فواعجبا هل يليق بموظف من موظفى الحكومة أن لا يطلع على نفائس وطنه المفيدة تلك هى الامور التى حملتنى على أن أتخذكم ضيوفا لى وأعظم باعث لى هو أن سمو الخديوى المعظم حفظه الله تعالى يرغب فى أن أهل المعارف تزور الآثار المصرية القديمة لانهم أولى من غيرهم بهذا الامر العظيم وان كانت الحكومة السنية لم تبخل عليكم باعظم من ذلك ولزيادة العناية بامركم نبهت على وكيلى وجميع الخدم أن يقوموا بواجباتكم أحسن قيام وأتيت لكم باشهر ترجمان عندى وهو الحاج محمد عليوه لوقوفه على أماكن الآثار ليرشدكم الى طرقها على أكمل وجه وانى أرجو لكم الراحة التامة وأن ترجعوا سالمين مستفيدين)

وعلى أثر ذلك هتف حضرة السيد بك بيومى كاتب أول المعارف بالدعاء للحضرة الفخيمة الخديوية قائلا (افند مز چوق يشا) ثلاثا وتلاه الجميع فى ذلك وبارحنا جناب المستر على زورقه ووجهه يتهلل فرحا وسرورا الى الباخرة التى تقله وقبل

وصوله اليها ركب جناب المستر (دجاس دنلوب) رئيس الارسالية وحضرة السيد بك يوحنا والمسيو فنديك والمسيو باكوس على زورق آخر لمكافأة زيارته فقابلهم بوجه بشوش ولسان رطب يعرب عن وافر امتنانه ثم قدم لحضراتهم مايقدم للزائرين وأخذ يطوف بهم أنحاء الباخرة ليطلعهم عليها ثم شافهه المستر دنلوب قائلا اننا أتينا لمكافأة الزيارة لجنابكم وان سعادة الباشا وكيل المعارف كلفنى أن أحيطكم علما بان سعادته سيتوجه اليكم ليؤدى واجب شكركم على ماقمتم به من خدمة الانسانية والجميل الحسن. ثم ودعوا جنابه وعادوا الينا وبعد ذلك سارت بنا السفينة تقصد مدينة مغاغه حيث يكون بها المبيت فجلسنا نقطع الوقت فيما ألقاه علينا جناب المستر المذكور وبعد ذلك أخذنا نريض الافكار وننزه الابصار بمشاهدة ماعلى ضفتى النيل من النباتات الجميلة والاشجار العجيبة الى أن وصلنا مدينة مغاغه فوافيناها فى الساعة الثامنة مساء ولكنا لم نبارح الباخرة مع شغفنا برؤية تلك البلدة اذ يوجد فيها أحد معامل السكر المشهور غير أن الزمن لم يسمح لنا بهذه الامنية وهذه المدينة على الشاطئ الغربى للنيل وهى آخذة فى التقدم بواسطة مرور السكة الحديدية بها وأبنيتها بالآجر واللبن وبها مساجد ذات منارات شامخة وسوق عظيم أسبوعى تباع فيه الحبوب والثياب القطنية وعصائب الحرير والعطارة والاغنام ونحو ذلك غير السوق الدائمية التى على الجسر وبها حوانيت يباع فيها الخبز والبقول . ورى أراضى هذه البلاد من الترعة الابراهيمية ومن الوابورات المركبة على جانبيها والمسافة التى قطعت من مصر اليها تبلغ مائة ميل وستة أميال

(اليوم الثالث) وفى منتصف الساعة السادسة من صبيحة يوم الاثنين الخامس عشر لشهر شعبان سنة ١٣٠٩ سارت الباخرة تجر أذيالها تيها فى اليم ونحن نقطع الاوقات تارة بالكتابة وأخرى بالقراءة وحينا نلازم الخدر للاستراحة وآخر نصعد على ظهر الباخرة لاجتلاء مناظر النيل الجميلة وما عليه من البلدان والهضبات وقبل الظهر شاهدنا جبل الطير وهو فى الجهة الشرقية للنيل وهو فى جنوب مدينة المنية ولعله سمى بذلك

لكثرة الطير به فى بعض الاوقات وفى أعلى قنه وبعض جهاته دير كانت تسكنه الاقباط الفقراء وكانوا كلما مرت عليهم سفينة ينزلون بواسطة أحبال ويتساقطون عليها ويلقون أنفسهم فى لجة البحر حتى يصلوا اليها فيسألون الناس الحافا فتارة يرجعون بخفى حنين وطورا بأعظم ما يتمنون وكان هذا دأبهم فى تحصيل أقواتهم الا أنهم حظروا من ذلك فى هذه الايام بما أقطعه لهم المرحوم الخديوى السابق وبعد ذلك مررنا على مدينة منية ابن خصيب وهى مدينة مشهورة بالصعيد على الشاطئ الغربى للنيل مؤسسة على أثر مدينة قديمة تسمى (طمون) أو (اطموم) وهى كلمة قبطية معناها الدير سميت بذلك لما كان بها من المعابد الكثيرة والاديرة وتعرف الآن بمنية ابن خصيب نسبة للخصيب ابن عبد الحميد صاحب خراج مصر من قبل هارون الرشيد قال ابن بطوطه فى سياحته يقال ان بعض خلفاء بنى العباس تغير على أهل مصر فأراد أن يولى عليهم أحقر عبيده اذلالا لهم وتنكيلا بهم ليسير بهم سيرة سوء وكان أحقر عبيده الخصيب فخلع عليه وولاه مصر ظنا منه أنه يقصدهم بالاذى كما هو حال من عز بغير عهد له بالعز فلما استقر الخصيب بمصر سار فى أهلها أحسن سيرة واشتهر بالكرم فكان أكابر البلاد وأقارب الخلفاء يقصدونه فيجزل عطاياهم فافتقد الخليفة يوما بعض أقاربه العباسيين فرآه غائبا ثم حضر بعد مدة فسأله عن مغيبه فأخبره أنه قصد ابن خصيب بمصر وأظهر له ما أعطاه فكان قدرا عظيما وأثنى عليه فغضب الخليفة وأمر بسمل عينى ابن خصيب واخراجه من مصر الى بغداد وأن يطرح فى أسواقها فلما أتى الامر بالقبض عليه حيل بينه وبين منزله وكان معه ياقوتة عظيمة القدر فخبأها فى ثيابه وسملت عيناه وطرح فى سوق بغداد فمر عليه بعض الشعراء وهو مطروح فقال له ياخصيب انى كنت قصدتك من بغداد الى مصر ممتدحا فوافقت انصرافك عنها وأحب أن تسمع القصيدة فقال له كيف لى بسماعها وأنا على ماتراه فقال له انما قصدى سماعك لها وأما العطاء فقد أعطيت الناس حتى أثقلت كواهلهم بأياديك فجزاك الله خيرا قال فافعل ماشئت فانشده

أنت الخصيب وهذه مصر * فتـــــدفقا فكلاكما نهر

فلما أتى على آخرها أعطاه الياقوتة فأبى فاقسم فاخذها وذهب الى سوق الجوهريين ليبيعها فلما عرضها عليهم قالوا هـذه لاتصلح الا للخليفة فرفعوا أمرها اليه فاحضر الشاعر واستفسره عن أمر الياقوتة فاخبره بخبرها فتأسف عند ذلك على مافعله مع الخصيب وأحضره بين يديه وأجزل عطاياه وحكمه فيما يريد ورغب فى أن يعطيه المنية هـذه فسكنها الخصيب حتى توفى وهى الآن لحسن منظرها يخالها الناظر عروسا مختالة فى حلل الازهار متوجة باكاليل الثمار ممنطقة بمناطق الانهار والعز خاطب لها فهو يثنر عليها من التقدم أبدع نثار حتى جرت ذيل الفسيان على مدينة أسـيوط بما لها من الثروة التى عادت عليها من معمل السكر التابع للدائرة السنية الذى هو أحسن معمل فى القطر المصرى فانه يتحصل منه على قدر جسيم من السكر الابيض والاحمر والعسل وبما لها من جودة الهواء حتى ان الخديوى اسماعيل باشا بنى بها قصرا مشـيدا معدا لنزول سموه عند تشريفه تلك الجهة وهى رأس مديرية تسمى باسمها وبها محل لبيع البضائع الاجنبية كالجوخ والاصواف والحرائر والاقمشة المصرية كالتيل والكتان والصوف وخانات بديعة النظام لنزول المسافرين والسياحين وغير ذلك من لوازم الانتظام والتمدن وما زلنا بعـد أن غابت عنا مناظر تلك المدينة نجتلى مناظر النيل التى أحدقت به حتى جاءت الساعة الثالثـة بعـد الظهر فرست
(بنى حسن) البـاخرة على الشاطئ الشرقى لرؤية الآثار التى ببلدة بنى حسن الواقعة على بعـد ١٧١ ميلا من مصر وهى قرية كانت فى أوائل هذا القرن بأعلى الجبل وكان النيل اذ ذاك بجوار السفح وكان أهلها يشنون الغارة على أهل السفن ويقطعون السبل ويعثون فى الارض فسادا فأرسل الله عليهم جنود المغفور له محمد على باشا فدمروها وقتل من قتل ونجا من نجا وبذلك انقسمت الى بلدتين احداهـما على الشاطئ والاخرى للشرق منها واسم الاولى بنى حسن واسم الثانية دروه وبناء بنى حسن من اللبن وأرفع بيت فيها لاتزيد الطبقة منه عن قامة وبسـطة وزراعتها جيدة على قلة

المياه بها لارتفاع أرضها والشجر الغالب بها هو النخيل ويظهر أن أهلها فى غاية الضنك فقد أخبرنا بعض أهاليها أنهم لشدة مابهم يؤجرون الاطيان لعمدتها بثمن بخس يدفعه فى الخراج ثم يستأجرونها منه بثمن أكثر بنحو الثلث

وعند وصولنا ركبنا المطايا وهى حمر رديئة وتوجهنا لرؤية الآثار فسرنا فى طريق يخترق المزارع ومررنا على أطلال البلدة القديمة حتى وصلنا سفح الجبل فى نحو نصف ساعة وهنالك ترجلنا ومشينا لان الحمر لاتستطيع الصعود ولانا نرى حقيقة الاشياء مشاة أوضح منها ركبانا فكنا نرى حفرا كثيرة بعضها ظاهر العمق والبعض مغطى بالرمل يظهر أنها كانت مقابر للعامة من قدماء المصريين وما زلنا نصعد حتى وصلنا المقابر الجسيمة وقد ضعفت منا القوى واشتدت حرارة الجو فانفجرت منا ينابيع العرق فلنا برهة للاستراحة ثم نظرنا للقبور فاذا هى بيوت متخذة من الجبال بعضها قريب من بعض وأبوابها فى مستو واحد تقريبا وهى ثلاثون مغارة منها خمس عشرة لم تتغير كتابتها ونقوشها والباقى محى ماعليه من الكتابة وجميع أبوابها للجهة الغربية أغلبها يشبه مغارة الجيوشى من بعض الوجوه وهاك وصف بعض هذه القبور من جملتها بيت يسمى مقبرة سيتى وهو بيت مستطيل الشكل بداخله ستة أعمدة من أصل الجبل أبقوها حالة النحت وهى تكون سطحين متوازيين من الشمال الى الجنوب تبتدئ بسمك عظيم ثم تستدق شيأ فشيأ وفى نحو أربعة أخماسها يحيط بها أحزمة كأنها تضبط تلك المخاريط الناقصة المكونة للعمود وبعد الاحزمة تتكون المخاريط ثانية بسمك يساوى مبدأ العمود من أسفل وتنتهى بالسقف ولم يبق بعد جناية الدهر عليها الا اثنان وثالث طرفه معلق بالسقف وأكثر من نصفه من أسفل قد ذهب وفى الجهة المقابلة للباب صور تدل على المصارعة والحروب وفى الحائط الجنوبى صورة سيتى وفى الشمال صورة زوجته وفى الجهة الغربية على يمين الداخل معبده وبجانبه معبد آخر يشبهه وبجواره أيضا آخر أقل ارتفاعا منهما وفيه سرداب غائر فى الارض منه استظهرنا أن أغلب هذه المدافن متصل بعضه ببعض ومن أهم

المحال قبر لرجل يدعى (حنتم حتب) ابن بنت أحد الملوك واسمها (بكت) وخدم هذا الرجل الملك نيخاوس من العائلة السادسة والعشرين أيام السلم والحرب وكان من أرباب الاقطاعات مستوليا على الجهة الشرقية من مديرية مح ويتوصل اليه أولا من درجة بديعة الصنعة والمقبرة داخلها وفيها أربعة أعمدة ونقوشها فى غاية من الاتقان وهى تتضمن أحوال المعيشة كقبر (ت) بسقاره

وعلى الحائط الشمالى صور أمة من سكان اسية أتوا فى أيامه اما فرارا من قحط حصل ببلادهم أو أنهم أسرى أتى بهم هذا القائد أونحو ذلك وعددهم سبعة وثلاثون يقال انهم من قبيلة (عامو) شرق فلسطين وتراهم يقدمون المعز والاثمد قربانا وفى شماله مدفن آخر لرجل من أعيان الدولة السابقة يسمى (امنى امنما) وكان رئيسا لمديرية مح مدة الملك (استرس) الاول ويعرف هذا القبر باسم (اسيوزرت مدس) نسبة للاله (ارقيس) لزعم اليونانيين أنه الاله المسمى عند المصريين سنحت السابق الذكر وكان هذا الرجل مشهورا بالعرافة والاخبار بالغيب وقد كتب على بعض الصخور مامعناه قد أنجزت ماوعدت وكنت حليما رؤفا رحيما بالضعفاء محبا لوطنى

فمكارم الاخلاق عموما ومحبة الوطن خصوصا أمر متفق عليه منذ تلك الاعصار الخالية والاجيال الغابرة نرى كل عاقل مثل هذا القائد انما يجد ويجتهد فى مصلحة وطنه ومسقط رأسه حتى تصل الفائدة لجنسه وعشيرته وان صادف دون ذلك المشاق والاتعاب عاملا بقول من قال

بلادى وان جارت على عزيزة * وقومى وان ضنوا على كرام

وكيف لا ولو تسوهل فى حب الوطن لفقدت خاصية التناصر والتعاون وضاعت الحكمة فى جعل الناس شعوبا وقبائل ليتعارفوا ويتعاونوا فلا يزال المتأخر يحذو حذو المتقدم ويهتدى بهديه

ويتوصل الى هذا القبر برحبة لها عمودان من الحجر الابيض كل منهما له ستة عشر وجها كل وجه يساوى شبرا وهما مزينان بانواع النقوش والكتابة حتى اذا دخل

الانسان بينهما رأى فى الحائط الغربى الذى فيه الباب صورا وأشكالا وسطورا برباعية ثم يدخل فى قاعة متسعة مربعة الشكل أحد أضلاعها يساوى احدى وعشرين قدما ويوجد محراب بابه فى الحائط الشرقى لهذه القاعة يظهر أنه كان للاله (سنحت) فيه صورة صنم كبير بجانبه صنمان أصغر منه وهى صورة (الالهة اسيرس) وهورس وبالحائط الشمالى من القاعة صورة مدير الاعمال بتلك الجهة والسقف مركب من ثلاث قبوات مزينة بالتقوش الغريبة مستطيلة متوازية يفصل كل اثنين منها متوازى سطوح قائم وهو من ضمن الجبل كالسقف كل ذلك بالنحت وهو مقام على أربعة أعمدة من أصل الجبل موجودة للآن الا أن العمود الثانى على يمين الداخل أخنى عليه الزمان فقطع وسطه وبقى أعلاه معلقا بالسقف وأسفله مرتكزا على الارض وارتفاع كل عمود سبع عشرة قدما ورؤسها على هيئة اكمام البشنين لانهم كانوا يتبركون به لانه لايظهر الا عند فيضان النيل وكانوا يقدمونه قربانا وجميع الجدران محلى بكثير من الصور اللطيفة الالوان منها صور أشخاص يصيدون وآخرين يقدمون القربان وقوم يتصارعون وطائفة ترقص وكلهم موتزرون وكتابة أخرى تبين أحوال المعيشة وهى فى غاية الدقة والاحكام وفى الحائط الشمالى والجنوبى صورتان متقابلتان يظهر أنهما صورتا الملك بدليل أن فى يمناه عصا الملك المعروفة عند علماء الآثار

وهذا القبر والذى قبله أفخر المقابر كلها

(اصطبل عنتر) ثم ركبنا قاصدين اصطبل عنتر وهو أقدم هذه الآثار وتسميته هكذا حديثة لايدرى ماسببها واسمه الحقيقى (اسبيرس ارتيدوس) أى معبد ارتيس وأمامه ثلاثة أعمدة وبابه فى مهب الصبا وخارجه نقوش لطيفة وعلى يمين الداخل و يساره صورتا سيتى الاول والد رمسيس الاكبر وفوق رأسه اشارة الشمس وفى يساره عصا الملك وبعد أن ملنا عنه قليلا قاصدين النهر رأينا مقبرة قديمة كانت تدفن فيها القطاط المحنطة التى كانوا يعبدونها وبعضها للآن ملقى على الارض باكمامه من المكان ثم مضينا

قاصـدين الباخرة فوصلناها بعدأن توارت الشمس بالحجاب ثم قامت السـفينة بعد الغروب توّم بنا الروضـة للمبيت بها فلم يدخل وقت العشاء حتى وصلت مقصـدها ورست هنالك وهى بلدة على الشاطئ الغربى للنيل فى الشمال الشرقى لمدينـة ملوى على خمسـة آلاف متر وكانت قرية حقـيرة لم تنتظم الا فى مدة الخـديو الاسـبق اسماعيـل باشا وهى من مديرية أسـيوط بقسم ملوى وفيهـا فابريقـة لعمل السكر والعسـل من أعظم الفابريقات وأجلها وأحكمها متانة وأحسنها نظاما من أعمـال الدائرة السنية فخرجنا ومضى المترجم الشهير الحاج محمد عليوه الاقصرى لاستطلاع أحوال الفابريقة وحينما رأينا منظرها وآلاتها الغريبة وجودة صنعتها كان الانسان منا ينقص من قدر قدماء المصريين ويسحب على آثارهـم ذيل النسـيان ويثبت الفضل للمتأخرين لا للمتقدمين ويعترف بان العلم لم يبلغ أمده الا فى هذه الايام الحديثة التى كثرت فيها الصنائع ودقت وراقت مناظرها ولكن يختلج فى الضمير أن القدماء لا مانع من وجود تلك الصـنائع عنـدهم غاية الامر أنهـا توالت عليهـا كرات الدهر وتصاريفه فابادتها لعدم مقاومتها لمر الدهور وتقلبات العصور

(الروضه ومعمل السـكر)

فكم جردت أيدى البلا سيف عزمها * على هامة الآثار شرقا ومغـــربا
وكم من جـديد قد كسى ثوب مهنة * وراح رديئا بعـــد ما كان أطيبا
وكم من خبايا فى غضون يد الثرى * أناخ بهـا ما صـــير الطفل أشيبا

فهذه التقلبات لا تحفظ مادق من الصـنائع ولا بد أن يكون من هذه الآثار ماهو كهـذه الآلات ولو دققنا النظر فى تحنيط الموتى وفى الالوان الغريبة الثابتـة وفى اختراع آلات السقى والحرث لسهل علينا الامر وحكمنا بان الفضل للمتقدم وأن الزمان لم يوصلنا الى جميع مخترعاته بل الى البعض الذى قاسى مشاق الدهر وما صـنع فيه وهالك وصف الفابريقة على ماشاهدناه

هـذه الفابريقة تخرج كل يوم مائة ألف كيلو جرام من السـكر الخام وبها أربع معاصر اثنتان للعصر الابتـدائى واثنتان للاعادة فدخلنا أول محـل ومتعنا النظر

فى كيفية العصر وهى أن توضع أعواد القصب بعد تقشيرها وازالة أعلاها وأسفلها وما عليها من الاوساخ على طاولة من الخشب منخفضة المبدأ مرتفعة النهاية دائرة على هيئة مايسمى فى الوابورات بالسير وهى من قطع من الالواح الخشبية متصل بعضها ببعض بسلوك من الحديد اللين عرضها نحو متر تتحرك بواسطة اسطوانتين احداهما فى المبدأ والثانية فى النهاية وعندها تسقط أعواد القصب بين ثلاث اسطوانات كل منها متحرك بحركة تضاد حركة الاخريين وفى أسفلها حوض ينزل فيه العصير المسمى بالمزهر ثم تخرج الالياف الجافة من بين الاسطوانات وتحمل على طاولة من الالواح الخشبية كالاولى لاجل توصيلها الى معصرتى الاعادة بعد أن يندى بالماء الفاتر ثم يمر بالمزهر فى أنابيب توصله الى قدور السليق وعددها (٥٢) قدرا وفيها يغلى العصير بواسطة التيار البخارى ولتنقيته من الاجسام الغريبة يوضع تحت كل قدر مصفاة ينزل فيها العصير النقى وفى كل منها جزء من عظم الحيوانات لاتمام تنقيته ثم يجتمع فى حياض مستطيلة بواسطة أنابيب تسمى بالمخازن بها بعض من الفحم الحيوانى لزيادة التنقية ثم يخرج منها بواسطة أنابيب حتى يصل الى قدور كبيرة على هيئة القباب تسمى بالقزانات وعددها عشرون منها ١٢ للعسل و ٨ للسكر فاذا أريد جعله عسلا يؤخذ من تلك القزانات المعدة لذلك بعد تركزه واذا أريد جعله سكرا فبعد طبخه فى القزانات المعدة له ينزل فى حياض مكشوفة يمكث بها زمنا معلوما حتى يصير ثخينا لزجا ثم ينقل منها الى آلة بخارية تمزجه بعضه مزجا قويا ثم منها الى طواحين تتركب الواحدة منها من اسطوانتين تدخل احداهما فى الاخرى والخارجة ثابتة والداخلة متحركة بحركة سريعة بواسطة البخار وبها ثقوب ضيقة يخرج منها السكر أبيض اللون على هيئة حبوب صغيرة بواسطة طرد القوة المركزية وعدد تلك الطواحين ٢٦ والسكر ينقسم الى أربعة أصناف أول وثان وثالث ورابع فالسكر الخام الباقى من عمل الصنف الاول ينتقل الى الصنف الثانى لانه أقل نقاوة من الاول وما بقى من الثانى ينتقل الى الثالث ليخرج سكرا من الصنف الثالث وهكذا ثم ينتقل بعد ذلك

الى غربال لتنقيته من المواد الغريبة وفصل جزئياته بعضها من بعض ومن الغربال يحفظ فى مخازن بعد نشره زمنا فى الهواء والمواد التى تبقى من الغربال تعاد الى القزانات لاجراء تلك العملية عليها لاخذ مافيها من السكر

ويتحصل من هذه الفابريقة مقدار عظيم من السبيرتو وأما الالياف الجافة فلا تترك سدى بل تؤخذ وتنشر حتى تجف ثم تحرق مع الفحم فى قزانات هذا المعمل لتقل مؤنة الفحم نوعا ويستخرج غاز الاستصباح الذى يضىء الفابريقة من الدخان الذى يجتمع فى المداخن وعددها (١١) وعدد قزاناتها (٢٤) وعملها (٢٠٠٠) تقريبا بالمناوبة كل واحد ست ساعات ومقدار ماتعصره فى كل ٢٤ ساعة ٢١ ألف قنطار وبداخلها سكة حديدية لنقل مايلزم وهى فى غاية من الاحكام والاتقان ولها منظر غريب وقت تشغيلها يأخذ بالالباب ويدهش الابصار وهى تشتغل ليلا ونهارا نحو ثلث السنة وبعد أن شاهدناها عدنا الى الباخرة وقضينا تلك الليلة بالشاطئ الغربى تجاه تلك البلدة

(اليوم الرابع) وفى الساعة السادسة من صبيحة يوم الثلاثاء السادس عشر من شعبان المكرم سنة ١٣٠٩ جرت الباخرة أذيالها فى اليم قبل أن ترسل الشمس أشعتها على صفحات الكون وما أتت الضحوة حتى أشرفنا على جبل أبى فودة وهو بالشاطئ الشرقى مطل على النهر يزاحم الجو بارتفاعه ويمد على السحاب طويل باعه يكاد أن يبتلع الماء بضخامة سفحه ومنظره الهائل وتيار المياه شديد الوطأة ترتعد منه فرائص السفن وتمر سادلة ثوب الخوف والفزع سالكة سبيل التذلل والخضوع خشية سطواته ويوالى كرانه وهو على بعد ٢١٢ ميلا من القاهرة وسلسلة الجبال المعروفة بهذا الاسم تمتد طولا نحو ١٢ ميلا ويوجد بنهايته الجنوبية حفر فيها جثث النمساح ومنظره من المناظر المهمة التى يتمتع بها نظر من تدبر وتفكر واستدل على عظمة الخالق وكمال قدرته سبحانه من اله حكيم جلت قدرته وكملت صنعته ثم لم تزل السفينة سائرة حتى مررنا على منفلوط التى تبعد عن القاهرة بقدر ٢٢٣,٥ ميلا وهى واقعة على الشاطئ الغربى للنيل ومحل مدينة قديمة مصرية قال ليو الافريقى انها تخربت مدة الرومان

ثم تجددت ثانيا بدخول المسلمين وذكر أنه كان بها عمارات وأعمدة جسيمة منقوشة بالنقوش الهيروغليفية ولما كانت الساعة الرابعة بعد الظهر رست الباخرة على مدينة أسيوط وهى أشهر وأنضر مدائن الوجه القبلى واقعة على الشاطئ الغربى ذات بساتين نضرة ومبان فاخرة وشوارع منتظمة ومناظر عجيبة وحينما رست الباخرة عليها بعد أن نشرت رايات السرور ورفعت ألوية الحبور نظرنا واذا تلامذة المدرسة الاميرية وناظرها مستعدون لاستقبالنا صفوفا وبعد ما استقرت السفينة نادوا بصوت الانشراح (مدينة أسيوط)

وهى على بعد ٢٤٩٫٥ ميلا من القاهرة وقاعدة مديرية أسيوط المشتملة على ٤٣٤ قرية وعلى ٥٨٣٥٩٦ من السكان

وهى المدينة الشهيرة التى كانت محطا للقوافل الآتية من وسط افريقيه وكردوفان ودارفور بطريق جبال ليبيا الحاملة للبضائع النافعة مثل سن الفيل وريش النعام والصمغ والجلود والرقيق والنطرون ولا تزال محلا لنزول القوافل الآتية من بلاد العرب بطريق القصير وعند مرورنا بها شاهدنا شوارع منتظمة على جوانبها بيوت شاهقة وقصور مزخرفة وحوانيت مشحونة بالبضائع الرائجة والصنائع المرغوب فيها وبها أيضا خمس فنادق معدة لنزول المسافرين وكانت من نحو ١٤ سنة خالية عن هذه المحال اللطيفة والشوارع المتسعة المتقنة فلم يكن بها فى ذلك العهد الا فندقان وشوارعها لم تكن كما هى عليه الآن من الاتقان والاتساع وحالتها الحديثة معلومة لاتحتاج للبيان

وهذه المدينة أسست على اطلال المدينة القديمة المعروفة باسم (سأوط) باللغة البربائية وتسميها القبط (سيوت) ومنه أخذت العرب اسم أسيوط ودعتها اليونان باسم ليكوبوليس ومعناه مدينة الذئاب لما يقرب بها من المغارات المنحوتة فى الجبل التى كانت معدة لدفن الذئاب المقدسة وابن آوى والكلاب معبودات سكان تلك الجهة قديما ومن مصنوعاتها عصى الابنوس المحلاة بالسن الجيد وقرن الخرتيت والاوانى المتخذة من قرن الخرتيت والاوانى الخزفيه

وبعد أن استقرت السفينة ركبنا المطايا وخرجنا نجوس خلالها ونستطلع أحوالها وكنا نسمع باهميتها ونشتاق لرؤيتها فلما حللناها

وجدنا بها مايملأ العين قرة ✻ ويسلى عن الاوطان كل غريب

وما زلنا نسرح الطرف فى أرجائها بحيث لم نترك شيأ يروق النظر الا جعلنا لانفسنا حظا من معرفتـه حتى كنا نسأل عن البساتين وأهلها والصنائع وأشهرها والمبانى وأفخرها وغالب بساتينها خارج المدينة تحيط بها الخضرة كاحاطة الهالة بالقمر وهى من النظافة بمكان عظيم وأجمع وصف لها أن نقول هى أم مدن الصعيد وما زلنا نسير فيها بين حدائق لطيفـة وقصور منيفة وخضرة ترتاح لرؤيتها الابصار حتى دنت الشمس للغروب وكاد ينقطع ذهب الاصيل ثم ثنينا أعنة المطايا قاصدين الباخرة فبتنا بها تلك الليلة تجاه المدينة

(اليوم الخامس) وفى منتصف الساعة الثامنة من صباح الاربعاء السابع عشر من شعبان سنة ١٣٠٩ خرجنا من الباخرة وامتطى كل منا ظهر مطيته وسارعنا متوجهين لمشاهـدة الآثار الغربية بجبال ليبيا التى هى تجاه مدينة أسيوط من الجهة الغربية فمررنا فى طريق منتظم متسع على جوانبـه الاشجار اللطيفة والمزروعات التى يروق منظرها ويعجب بها من رآها ولم نزل فى السير حتى اخترقنا مدينة أسيوط ثم جاوزناها حتى عبرنا ترعة السوهاجيه ثم سرنا قليلا حتى بلغنا سفح الجبل فرأينا جملة كهوف ومغارات بعضها بجانب الآخر كأنها نوافذ لقصر عجيب الشكل جميل الصنع وبعضها بأعلى الجبـل ومنها ماهو أسفله ومنها ماهو بوسطه وبعضها مظلم والبعض الآخر مضىء قليلا وبعضها أمامه شئ من الصخور العظيمة منقوش عليها بالقـلم البربانى والبعض غفل ولعدم ميل الجبل يعسر الصعود اليها وحين أمعنا النظر فيها رأيناها كالدكاكين الخالية من الباعة أو البيوت المعلقة الخالية من السكان

وبالجملة رأينا مناظر يقصر البليغ عن وصفها ويكل اليراع عن بيان كنهها ثم سرنا على الاقدام قليلا حتى وصلنا الى أول مغارة فاذا هى محل متسع منحوت فى الجبل أرضها غير مستوية

وبها عطفات كثيرة ودهاليز عديدة بعضها منحدر الى أسفل والبعض صاعد لاعلى وتكثر بها الكهوف الصغيرة والكبيرة

وفى الجهة الغربية الجنوبية منها يوجد بئر يبلغ عمقها خمس عشرة قدما كما أخبرنا بعض من له معرفة بذلك وكان معدا لدفن الذئاب المحنطة وعلى بعض جدران هذه المقابر يرى كثير من الصور والتماثيل المنقوشة بيد أنه يتعذر على الخبير فك رموزها الا بعد اجهاد النفس وتخلية الفكر لان يد الزمان عبثت بها وأذهبت نضرتها وسقف هذه المنازل منحوت فى جوف الجبل محدب قليلا لايمكن الوقوف على مابه الا بواسطة المصابيح ثم خرجنا بعد أن أخذ منا العجب مأخذه مما رأيناه من أعمال الامم الغابرة الدالة على قوتها ونباهتها وتوجهنا الى المغارة الثانية فاذا هى تشاكل الاولى غير أنها أوسع منها وأشد ضوأ وتشتمل على كثير من الكهوف والمغارات وبها قليل من الكتابة التى يصعب على العارف الدقيق فك رموزها بما فعلته بها الايام وأحدثته فيها نوب الزمان وعلى بابها الداخل صورة رمسيس الثالث منقوشة على الجانبين ويوجد بها أيضا كثير من الصور البربائية وبها سرداب يمر فيه الانسان حبوا فيصل الى مغارة تشبهها غير أنها قليلة النقوش والصور ثم خرجنا منها وصعدنا الى الجبل فانتهى بنا السير الى مغارة أخرى تعرف عند سكان تلك الجهة باسم كهف العساكر لما هو منقوش على جدرانها من صور العساكر المقاتلة الشاكين للسلاح حيث ترى هذه الصور منقوشة فى الحائط الجنوبى لهذه المغارة على هيئة ثلاثة صفوف بيد بعض الصور الدرق والحراب وبيده الاخرى القوس والنشاب واذا تأمل الانسان فيها يخال أنها مستعدة للحرب والنزال طالبة النصر على الاعداء كل هذه الامور دلتنا على شدة اعتناء الامم الغابرة بالعمارة والقوة العسكرية المنتظمة ويرى الانسان على الحائط المقابل للسابق صورة الملك مرقرع أحد ملوك العائلة الثالثة عشرة وهناك يوجد اسمه باللغة البربائية ويوجد غير ذلك نقوش بربائية كثيرة منقوشة بالخط الكبير الملوّن باللون الازرق غير أن يد الانسان وصروف الدهر ومضى

الايام شوهت جميع ذلك ويوجد فى هـذه المغارة اسم سيتى ويوجد بها أيضا نحو (٦٤) سطرا رأسية لاتتيسر قراءتها الا أن كان هنالك سلم ومصباح يقال أنها تتضمن أدعية واستغاثات للاموات وهى تعرف أيضا كيفية تقديم القربان لها ويرى بالمغارة التى بجوارها اسم (حبتفا) من ذوى المناصب العالية وكان يحكم على أقاليم مصر الجنوبيـة مدة العـائلة الثالثـة عشرة واسمه (نيف عاب) رئيس كهنـة المعبود (امنوبيس) معبود سأوت

ثم خرجنا وسرنا الى أسـفل حتى بلغنا مغارة تعرف عنـد العرب وأهل أسـيوط باصطبل عنتر لانها مشابهة للمكان المعروف عند اليونان باسم (اسيبوس ارتميدوس) المسمى عند أهل بنى حسن باصطبل عنتر ثم سرنا الى أسـفل أيضا حتى وصلنا الى مغارة حديثة اكتشفها بعض المصريين المدعو محمد الحلفاوى الموكـل بحراستها الا ن حيطانها مطلية بالجير مزين أعلاها باللون الاصـفر وعلى جدارتها التماثيل مرسومة باللون الاحمر غير محفورة فى الصخور

وقد وجدنا فى هـذه المغارة لااله الا الله مكتوبة بالقـلم العربى المحفور فى اللون الاصفر الذى باعلى المغارة ومكتشفها أخبرنا أنه عند فتحها رآها مكتوبة وأن بعض مأمورى مصلحة الآثار حضر وبعد اطلاعه عليها قرر أنها بالقـلم الكوفى ولكن اذا شاهدها الانسان يتخيل له أنها كتابة حديثة وليست بالقلم الكوفى

ووجدنا أيضا بهذه المغارة كثيرا من القـدور والاوانى الفخاريه بعضها بفم ضـيق والبعض متسع الفم كالزلع المعروفة عنـدنا وأخبرنا من نثق به أن هـذه الاوانى كانت معدة لحفظ أمعاء الكلاب والقطاط والذئاب التى دفنت بتلك المغارة ومكتشف هـذه المغارة المتقدمة الذكر أخبرنا أنه وجد فيها كثيرا من القطاط والطيور المحنطة التى أرسـل أغلبها الى دار التحف بمصر والظاهر أن سكان سأوت القـدماء كانوا يعبدون هذه الحيوانات حتى اعتنوا بها هذا الاعتناء وحافظوا على أجسامها هـذه المحافظة ويوجـد فى بعض كتب النمساويين أن الاله الوطنى لهذه البـلاد يعرف

عندهم باسم (امنوبيس) وهو ابن آوى حيث وجد كثير من جنسه محنطا مدفونا وكثير من الطيور الجارحة والقطاط والكلاب وبعضها مغشى بالذهب ويوجد بها قليل من الذئاب ثم خرجنا ونزلنا الى أسفل الجبل فرأينا رجلا من فلاحى هذه البلاد وقد اقتنص ضبعا بالآلة المسماة بالشرك وبعد أن بارحناه مررنا بالقرب من المقبرة المستعملة الآن لدفن الموتى كل ذلك ونحن ننظر الى أسيوط ونتمتع بمشاهدة منظرها البهيج الذى يقصر اللبيب عن وصفه ويعجز البليغ عن شرح بهجته وشاهدنا أيضا مزروعاتها التى تنبئ المارين عن خصوبة الارض ومهارة الزراع

ويوجد بالكتاب النمساوى العبارة المسمى بدليل مصر أنه توجد فى مقابلة مدينة أسيوط قرية تسمى بنى محمد الكفور تحتوى على قبور للعائلة السادسة وربما كانت للملك (بيبس) وغيره من ملوك هذه العائلة

وهذه المدينة (أسيوط) بالنسبة لكونها فى حضن الجبل الغربى صار هواؤها غير موافق للصحة وأعظم موضع بها الحمرة وهى على البحر هواؤها جيد جدا وبها مقر المحكمة الاهلية وبها مدرسة شهيرة أميرية متقدمة جدا تلامذتها تلوح عليهم النجابة ويوجد بها عدة مدارس أخرى كمدرسة الاميركان وغيرها

ولم نزل نحث المطايا حتى وصلنا الى السفينة حيث كانت الساعة العاشرة صباحا فركبنا وسرنا قاصدين سوهاج فوصلناها بعد أن مررنا بمدينة أبى تيج ومدينة طهطا (سوهاج) واذا هى مدينة قديمة بالصعيد على الشاطئ الغربى للنيل بين أسيوط وجرجا وهى مركز ديوان مديرية جرجا وقد كانت جرجا سابقا هى مركز أعمال المديرية

ولما شاهد المرحوم سعيد باشا موقع هذه المدينة وطيب هوائها وتوسطها فى بلاد المديرية أمر بنقل ديوان المديرية اليها فى قصر بناه بها يندر وجود مثله فى بلاد الصعيد وجعله مستوفيا لجميع متعلقات الديوان

ولعمر الحق انها بلدة طيبة منظرها عجيب وهواؤها صاف جيد يخالها الرائى من البعد مبنية من المرمر الابيض وهى على شاطئ النهر منتظمة الشوارع والاسواق وبها

كثير من المتاجر ومزروعاتها جيدة وتربتها خصبة وبها مساجد كثيرة من أشهرها مسجد العارف الذى بينه وبين المديرية ساحة فسيحة تحتها أشجار اللبخ منظرها حسن جليل وظلها وارف ظليل وتحته مرسى السفن بالنهر

وفى شمالها الشرقى حديقة لطيفة الغراس وعلى نحو ثلثمائة متر منها قطعة من الارض نحو عشرة أفدنة مزروعة بشجر السنط المشهور الذى يؤخذ منه القرظ النافع فى الصباغة وأخشاب تصنع منها آلات عديدة كالتوابيت والسواقى والطواحين والمحاريث والمراكب ويتصل بها من الجهة الجنوبية الترعة المعروفة بالسوهاجيه التى يبلغ عرض فمها ٧٤ م تقريبا فوصلناها فى الساعة الثامنة مساء وبتنا بها تلك الليلة

(اليوم السادس) ولما أتت الساعة الثامنة من صبيحة يوم الخميس ١٨ شعبان سنة ١٣٠٩ خرجنا قاصدين مدرستها الاميرية وهى واقعة فى الجانب الغربى من المديريه تحتوى على طبقة واحدة وبها أربع فرق وفصولها كبيرة جدا حتى انك ترى التلامذة منحازين فى ركن واحد من الفصل وقد كان هذا المحل اصطبلا للخيل سابقا ولذا كان وضعه غير صحى وليس فيه نور كاف للتلامذة وقد جددت المعارف فى وسط الفسحة الكبيرة مدرسة أخرى بها طبقة واحدة مركبة من سبع قاعات خمس منها للتلامذة وواحدة للناظر وأخرى للمعلمين وفى وسط الجميع رحبة ضيقة

وهذه المدرسة وان كانت منتظمة البنيان الا أنها ضيقة على التلامذة وقد اختبرنا بعض تلامذتها فى فروع التعليم العربى فوجدنا الكثير منهم يتساهل فى اخراج الحروف من غير مخارجها لعدم عنايتهم بذلك حيث يحسبونه هينا وهو فى اللغة العربية عظيم وانا نقول والحق يقال ان التساهل فى هذا أمر فاش والعناية به ضعيفة وهى حالة يؤسف عليها لانا نرى الانجليزى مثلا يحافظ على اخراج الثاء من مخرجها والذال كذلك بحيث لو سمعها عربى لطرب منه ويستوى فى ذلك عالمهم وجاهلهم ولسنا كذلك ونحن أولى به

نعم ان درجة التلامذة فى العلوم ليست منحطة فقد اختبرنا الجميع فيما قرر اعطاؤه من اللغة العربية فانشرحت صدورنا منهم

وكذلك المستر دنلوب سر بدرجتهم فى اللغة الانكليزية وكذلك اللغة الفرنساوية وعدد تلامذتها ٨٥ تلميذا وكنا نظن أن مدرسة المديرية يكون فيها أضعاف هذا العدد لاسيما والبلدة هى البندر ومن البلاد الشهيرة بالوجه القبلى الواقعة على شاطئ النيل وقد سألنا أحد معلميها عن سبب قلة التلامذة فقال ان الاهلين ليس لهم اقبال تام على تعليم الشبان والسبب الوحيد فى ذلك أنهم لايجدون محركا من أولى الامر هنا والناس على دين كبرائهم فقلنا كيف لاتتحدثون فى الاندية بفضل التعليم وحسن عاقبته وتحثون الاهالى على تربية شبانهم وتبينون لهم ثمرة العلم وتضربون لهم الامثال حتى تشتاق نفوسهم بهذه المؤثرات فما كان جوابه الا أن قال قد أفرغنا مافى وسعنا وسعينا وراء تقدم المعارف بكل جهدنا ولكن

لقد أضرمت لو أوقدت نارا * ولكن أنت تنفخ فى رماد

وقد أسمعت لو ناديت حيا * ولكن لاحياة لمن تنادى

فقال بعض اخواننا أيها الاستاذ ان مرور الماء اذا تكرر على الحجر الصلد أثر فيه فعليكم بتنبيه الاذهان فى كل فرصة من الفرص بثمرات التعليم وتحصيل التقدم والله لايضيع أجر العاملين

هذا وانا ننشر راية الثناء على همة ناظرها الفاضل عبد الرحيم افندى غلاب فانه مارأى أمرا فيه نجاح للمدرسة الا وفعله حبا للفضيلة وكذلك الاساتذة ثم خرجنا من المدرسة قاصدين الباخرة فوصلناها فى الساعة الحادية عشرة صباحا ولم نقطع ثلاثة أميال حتى جاوزنا مدينة اخميم التى يقرب منها الدير الابيض الذى خصص للقديس شنوده القبطى الشهير الذى ولد سنة ٢٨٩ قبل الهجرة ومات سنة ١٧١ ق ه والدير الاحمر وكل منهما من مبانى الامبراطورة هيلانة وهى واقعة بالشاطئ الشرقى ولها سوق مشهور وقد كانت تعد فى الزمن القديم من أعمال طيبة وكان بها معبد يسمى (خم) وقد عده المؤرخ الشهير أبو الفدا من المعابد المشهورة ويوجد بقايا البلدة

القـديمة خارجها وفى شمالها مغارات عليها صور الملك طوطمس الثالث وبها تعمل الملآت الجيدة والفوط والبشاكير

والنهر فى تلك الجهة ملتو جهة الشرق ثم رأينا هنالك جزيرة متوجة بالنباتات البهجة وهى من أحسن الجزائر

(فرشوط وتراجم علمائها) ثم لم تزل السفينة مجدة فى السير حتى رست على مدينة فرشوط فبتنا بها وهى احدى مراكز مديرية قنا على بعد ٣٦٨ ميلا من القاهرة على الشاطئ الغربى للنيل تبعد عنه باكثر من ساعة وأمامها على الشاطئ الشرقى محل يقال له قصر الصياد على بعد ٣٧٦ ميلا من القاهرة وهو أثر مدينة قديمة وكانت هذه المدينة تسمى قديما برشوط (بالباء) وكان فيها كنيستان احداهما باسم السيدة مريم والدة سيدنا عيسى على نبينا وعليـه أفضـل الصـلاة وأتم التسليم والاخرى باسم ميكائيل أحد رؤساء الملائكة الاربعة كما فى كتب الاقباط

وأبنيتها بالآجر بعضها على ثلاث طبقات

ومن أشهر مساجدها مسجد شيخ العرب همام وكانت هذه البلدة أيضا منبعا للفضائل والعلماء الاكابر منهم الشيخ أحمد بن أبى الحسين الفرشوطى كان يعرف الحكمة وكثيرا من العلوم ومنهم الشيخ عثمان بن أيوب المعروف بابن مجاهد كان أديبا شاعرا من كلامه قوله

يا ربع ميـة لى اليك رسيس * وقف عليك مدى الزمان حبيس
ساعات قربى منك هن سعادة * ساعات بعدى عنك هن نحوس
سـقيا لايام الوصال وطيبها * والحى والمغـنى الغنى أنيس

ومنهم الاسـتاذ الشيخ محمد بن حمزة وهو عالم فاضل أديب شاعر من كلامه

أنخ المطى برامـــة ياحادى * فهنالك غاية مقصدى ومرادى
وانزل بساحة حى سكان النقا * فهنالك بالتحقيق ضاع فؤادى
واسأل أهيل الحى أن يترفقوا * بمتيم صب حليف سـهاد
طلق الحشا قد ذاب من ألم الجوى * وأسـيرهـم ما له من فاد

(اليوم السابع) وفى الساعة الرابعة من صبيحة يوم الجمعة ١٩ شعبان سنة ١٣٠٩ أقلعت بنا السفينة من دشنا وبعد قليل من الزمن رأينا الجبل الشرقى وقد زحف على النهر وارتفع عليه ارتفاعا عظيما ليس فيه انحناء والمياه تضرب باصله كانها تأخذ بالثار من عدو وقد أثرت فيه فترى الخطوط البديعة فى الحجر بسبب جرى الماء زمنا طويلا عليه وهى هيئة تهول الناظر ويتبعها البصر وفى تأثير هذا الماء مع شدة سيلانه على تلك الصخور مع عظم صلابتها تنبيه للعاقل ليعلم أن العمل ان دام نفع وان كان قليلا ولذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الاعمال الى الله أدومها وان قل والجبل هنالك مشكل باشكال بديعة فتراه يرسم فى وضعه أنصاف دوائر قطرها شاطئ النهر وينتهى بنقطتين من الجبل ملتصقتين بالشاطئ وهذه الانصاف الدوائر مزخرفة تارة بالاشجار وتارة بالنباتات الغضة وطورا تراها بيضاء بهجة للناظرين لاترى فيها عوجا ولا أمتا وما زلنا نسرح الابصار فى تلك المناظر اللطيفة حتى جاءت الساعة العاشرة من ذلك اليوم فرست بنا السفينة على دندرة (دندرة)

وهى بلدة على الشاطئ الغربى فى مقابلة مدينة قنا يحيط بها من النخيل وشجر الدوم مايسير الراكب فيه نحو الساعة ومن مزروعاتها الحمص والعدس والجلبان الذى يستعمل غذاء لمواشيهم كالبرسيم فى الوجه البحرى وهى مشهورة جدا بالدجاج البلدى المعروف بالفراخ الدندراوية وفيها معمل لاستخراجها وبها سويقة دائمة وكانت تسميها المصريون (ثارات ثارات) وكانت مشتهرة (بتنتريس) وهى تسمية يونانية وكانت تعبد فيها الالهة هاتور وقد أنشئ فيها فى الازمان الوسطى فابريقات وبقربها اطلال دندرة القديمة بناها على ما فى خطط المقريزى قفطريم بن مصرايم ابن بيصر بن حام بن نوح عليه الصلاة والسلام وما استقرت السفينة حتى امتطينا متون الركائب وسرنا بين المزارع والاشجار قاصدين هيكل هاتور صاحبة الشهرة (هيكل هاتور) والصيت الذى يكل عن وصفه اليراع ويقف دونه حقيقة التبيان

وهو بالجنوب الغربى من البلدة عند سفح الجبل على بعد سبعمائة قصبة وكان

مبدأ بنائه زمن البطالسة من اليونانيين وتم فى مدة نيروز من قياصرة الرومانيين تولى سنة ٥٦٨ ق ه وكان جبارا عنيدا سيئ التصرف هلك سنة ٥٥٤ ق ه

وبعد نصف ساعة من مسيرنا وصلنا الهيكل المذكور واذا بباب عظيم جدا يبلغ ارتفاعه نحو الاربعين قدما يظهر أنه كان بابا لسور محيط بالهيكل مرسوم على وجهه صورة المعبودة هاتور والملك يقدم اليها الهدايا وعدة صور أخرى يتقرب اليها بيد كل منها مبخرة يخرج منها دخان البخور ويوجد على يسار الداخل صورة المعبودة ايسيس على رأسها قرون البقر وفى وسط قرنيها صورة الشمس ويستدل من رسم هذه القرون على تعظيم البقر لان عليه مدار زراعتهم وأمور معيشتهم وسمك حائط الباب ١٫٧٥ م ومرسوم فى سقفه صورة الجعل (الجعران) وهو رمز للاله الكامل وأجنحته رمز للابدية وهى مبسوطة كأنها محيطة بالكون وهذا يدل على تعظيمهم هذا الحيوان لانه يظهر وقت فيضان النيل الذى به عمران البلاد ولان شكل برازه كروى تماما والشكل الكروى أتم الاشكال الهندسية ثم سرنا الى الداخل نحو الخمسين مترا بين حائطين من اللبن قليلى الارتفاع بناهما ماريت باشا حتى وصلنا الهيكل فلما دخلناه أخذ كل منا يردد طرفه فى أنحائه فاخذنا العجب مما نشاهده من النقوش المدهشة والصور الغريبة والالوان البديعة التى لا يبلغ شأو وصفها القلم ويقف دون شرحها اللسان وليس ذلك على سبيل المبالغة وكنا قبل ذلك نظن أن لا يوجد أبدع مما رأينا من الآثار ونعده شيأ عظيما حتى اذا وقعت أبصارنا على هذا الهيكل رأينا منه العجب العجاب وهو مركب من جملة رحبات

(الرحبـــة الاولى)

وهى أكبرها يحمل سقفها أربعة وعشرون عمودا موضوعة على أربعة صفوف كل صف منها ستة ثلاثة على يمين الداخل ومثلها على يساره وهى مخروطية الشكل قطر كل واحد منها من الاسفل ٢٫٣٣ م ومن الاعلى ١٫١٠ م وارتفاعه بدون القاعدة والتاج ٨٫٣٦ م واما بهما فهو ١٤ م تقريبا ومرسوم على تاجه من أربع جهاته

صورة وجه الاله ايسيس وهذه الرحبة متسعة الارجاء تسمى برحبة السماء لان سقفها ملون باللون الازرق البديع وفيه صورة البروج والكواكب الثابتة والسيارة ومنازل الشمس والبروج مرتبة على هذا الترتيب برج الاسد فالسنبلة فالميزان فالعقرب فالشجاع فالجدى وهى أيضا مكررة على الحيطان بغاية الاحكام والاتقان

ويحيط بجميع هذه الصور من جوانب السقف صورتان متقاربتان للالهة نوت احداهما فى الجهة الشمالية والاخرى فى الجنوبية فالتى جهة الشمال على صورة آدمى رأسه ويداه تشغل شرق سقف الجهة التى هو فيها ومن كتفه الى عجزه يشغل جميع الجهة الشمالية ومن أول فخذيه الى طرفى قدميه يشغل من الجهة الغربية مايقابل ماشغلته رأسه ويداه من الجهة الشرقية

وأما التى فى جهة الجنوب فهى مقابلة لها موضوعة على هيئتها تماما ومرسوم على حيطان هذه الرحبة صور كثير من الملوك تقدم القربان للالهة من مصوغ وجواهر وأزهار وروائح ذكية وصورة الشمس والقمر وشعاعها متصل به وهذا يدل على أنهم كانوا يعلمون أن نور القمر مكتسب من نور الشمس وعليها أيضا صورة نوت وهاتور الهى الظلمة والنور يصبان على رأس الملك ماء التطهير لتكفير ماقترفه من الذنوب وعليها أيضا صور كثير من قياصرة الرومان كاغطوس وطبريوس وكاتجولا وكيلوديوس ونيرون وكذلك صورة رئيس الكهنة يقدم القرابين للمعبود هاتور وعليها أيضا صورة المقدسة أوزيس ويزعمون أنها ولدت فى دندرة وصورة اسيرس وكوكب سهيل وهو رمز لزيادة النيل الدورى المبارك

وفى هذه الرحبة ثلاثة أبواب أكبرها أوسطها وعلى وجهته من الخارج صورة أعمدتين بينهما الشمس وكان مختصا بدخول الملك وكانت عادته اذا أراد الحضور الى هذا الهيكل أن يلبس ملابس طويلة تشبه القفاطين ويأخذ فى يده عصا يتوكأ عليها وينتعل نعلين وقبل أن يدخل المعبد يأتى المقدسون ويقرون له بانه ملك الديار القبلية والبحرية من أرض مصر والاقرار بانه ملك الاقاليم الشمالية منقوش على الحائط

الشمالى وبابه ملك الاقاليم القبليـة على الحائط الجنوبى فاذا وصـل الباب حضره المقدسان طوط وهورس وطهراه ويأتى بعد ذلك سرات واتى ويتوجانه بتاج المملكتين ثم يأتى اليه قوم مقدسون من عين شمس فيقودونه بأيديهم الى أن يوقفوه أمام المعبود فكانت هذه الرحبة عبارة عن مكان استعداد الملك للعبادة وبالجملة ففى هذه الرحبة من بديع النقش والتمثيل مالا يبلغه الاحصاء وكلها فى غاية المتانة والملاسة يستدل منها على الاحمق والمتكبر وسيئ المعاشرة والحليم والكريم وعلى ماتؤل اليه حالة هؤلاء الى غير ذلك من الاحوال المعاشية فى تلك الازمان

(الرحبـــة الثانية)

ثم دخلنا من باب مقابل للباب الاعظم الى الرحبة الثانيـة وهى تحتوى على ستة أعمدة متقابلة يوجد بجدرها نقوش تدل على أن هـذا المكان كان معـدا لاحتفال الاعياد والمواسم الدينية ومرسوم عليها صورة الآلهة فى جميع جهاتها وفيها صور بعض الملوك يتقرب الى هاتور بأنواع العبادات ويوجـد بها أيضا صورة آخر ملوك البطالسة الذين خلفتهم دولة الرومان وقد غيرت صروف الدهر تلك الرموز وجعلتها تحت طى الخفاء بحيث لايكشف مخباها الا من نبغ فى العلوم التاريخيـة وبتلك الرحبة ست قاعات ثلاث على اليمين وثلاث على اليسار بعضها يعرف باودة الفضـة أو الكنوز لما كان بها من الجواهر وبعضها كان مخزنا لايراد الوجه البحرى وبعضها لايراد الوجه القبلى ومنها ما كان معدا لحفظ العطريات الى غير ذلك وما من قاعة من هذه القاعات الا وفيها مايدهش الرائى من الصور والتماثيل وهذه الرحبة أقل من التى قبلها ارتفاعا

(الرحبـــة الثالثة)

ثم دخلنا من باب مقابل للبابين اللذين دخلنا منهما الى الرحبة الثالثـة وهى قليلة الاتساع بالنسـبة للتى قبلها مزينة بأنواع النقوش والصور وبها بابان متقابلان الى اليمين والى اليسار فيهما سلمان أحدهما معد للصعود وهو الذى جهة اليسار وعدد درجاته مائة تقريبا وهو صاعد باستقامة وانحـدار والثانى على هيئة خط منكسر

عند كل زاوية منه طاقة صغيرة ووضع هذه الطيقان يختلف بالنسبة لبعضها فمنها مايتجه الهواء الداخل منها الى أعلى ومنها مايتجه الى أسفل وبهذه الكيفية تتعاكس تيارات الهواء فيمتلئ السلم به امتلاء عظيما فلم نتمكن من المحافظة على الشموع بل كانت تطفأ من شدته مع أنا كنا فى يوم شديد الحرارة قليل الهواء وهذا يدلنا على ما كان لهذه الامة فى الازمان الغابرة من التضلع التام فى العلوم الرياضية والطبيعية وعدد درجات هذا السلم يبلغ مائة وعشرا تقريبا وكنا نجد على حيطان كل من السلمين صورة الملك وبعده ثلاثة عشرة كاهنا بيد كل واحد منهم عصا على رأسها رمز له وباقى الرسوم عبارة عن صور أشخاص يقدمون الهدايا لعيد رأس السنة

(الرحبة الرابعة)

يوجد بها صورة المعبودة هاتور وفيها مذبح يذبح عليه القرابين عند اللزوم وهى تحتوى على الصور المقدسة وفيها غرفة داخلها تجاه باب الهيكل وكانت محل وضع أربع سفن (ذهبيات) مقدسة موضوعة على أربعة صناديق تحملها العبيد على قضبان من خشب وكل سفينة منها تشبه مايسمى بالكشك مغطاة ببرقع أبيض على الدوام وبداخل هذه الرحبة الرمز السرى للاله الذى خصصت له هذه السفن وكل هذه الصور على غاية الدقة الهندسية واتقان الرسم وفى الجهة الشمالية من هذه الرحبة ثلاث غرف متداخلة مخصصة للكنيسة احداها لوضع المجوهرات وثانيتها للصلاة وثالثتها لتوزيع القرابين عند رأس السنة وسقوفها محلاة بصورة الآلهة نوت والشمس والقمر وشجرة الحياة ومن الغريب أنك تجد أشعة الشمس ملونة بألوانها اللطيفة المعروفة بألوان الطيف التى يزعمون أنها استكشفت حديثا

وفى غرفة العبادة صورة المائدة على الحائط وعليها صورة الكعك الذى يصنع فى المواسم الآن وهذه الرحبة كان لايدخلها الا رؤساء الكهنة من خدمة الهيكل أيام الاعياد والمواسم

(الرحبـــة الخامسة)

تحتوى هذه الرحبة على آثار الاحترام وفيها أربع غرف كانت محل اجتماع الكهنة لاحياء عيـد خصوصى للاله بشت معبود بنى حسن ويكل منها صورة هاتور الظافر بالظلمة أوهاتور الارض وبداخل الغرفة الرابعـة مكان تحت الارض على هيئـة سرداب ذى ثلاث شـعب يتوصـل اليه بنحو سبع درجات من الخشب مصـنوعة حديثا وكان مخصصا لوضع الملبوسات التى كانت تزين بهـا الالهة وبه صور جميـلة فى غاية اللطف متناسـبة الاعضاء وقد دخلنا هـذا المحل بالشموع وأبواب شـعبه ضـيقة جدا حتى ان الواحد منا كان لايدخلها مع قعوده قعدة المستوفر الا بمشـقة ويظهر أن هـذه الشعب مصنوعة فى جوف الحائط وكانت أبوابهـا لاتظهر للعين بل هى والحائط سواء وكانت تفتح بلوالب مخصوصـة كل ذلك لحفظ ملبوسات الالهـة ويوجد بهذه الرحبة غرفة سادسة بها صورة المعبودة هاتور وكان لايقرب منها أحد غير الملك لاجل العبادة وبعدها غرفتان متـداخلتان كانت تظهر بهما الالهة هاتور بصـفة عجيبة جدا ترى منهـا الشمس كلها وبجوارها غرفة كانت محلا تجتمع فيـه الآلهة وفيها مات الاله أوزريس

وبجانب تلك الغرفة غرفة أخرى كانت محل صلاة أوزريس وبها صورة تدل على أن الآلهة كانت ترجع جسمه من حالة الكهولة الى حالة الشبيبة وأخرى تدل على أنه كان راكبا يقمع أعدائه المرسومة هنالك بصفة تماسيح وهو يمشى وراءهم وبجوارها غرفة تدل رسومها على أن أوزريس كان يموت ثم يحيى ويليها غرفة أخرى كانت محل الاستغاثة بالمعبود ايسيس وجميع هاتيك الغرف مزينة بعجيب الرسم وغريب التصوير

ثم صعدنا الى الدور الاعلى من سـلم الصعود فرأينا رحبة متسعة النواحى فى شمالها اثنا عشر عمودا على عدد شهور السنة كل عمود مختص بشهر

وكان الملك أو بعض الكهنة يصعد فى آخر كل شهر فوق عموده ليرى الشـعرى اليمانيـة لانها من معبوداتهم وكان الملك يجتمع مع ثلاثة عشر كاهنـا أمام هـذه

الرحبة تعظيما لها ويوجد فى نهايتها حائط فيه سلم يسمى بسلم الهواء لان أحد جانبي درجاته فى الحائط والآخر غير مرتكز على شئ كما هو الآن فى أغلب منازل القاهرة ويوجد بالسقف جملة غرف احداها مرسوم على سقفها منطقة فلك البروج وصورة الاله نوت وفيها تاريخ بناء الهيكل وبداخلها غرفة أخرى كانت تحنط فيها جثث الموتى ويوجد بها آلات التحنيط وهنالك غرفة أخرى نشر سقفها نابليون ملك الفرنساويين عند ماتغلب على مصر ونقله الى متحف بلاده والوارد أن منطقة فلك البروج التى قطعت ونقلت من دندره الى باريس كان نقلها باذن محمد على باشا سنة ١٨٢١ م وقد كان عليه على مايقال صورة القبة الفلكية على غاية الاتقان وبهذه الغرفة صور جملة من الجنود على اختلاف درجاتهم وهم رافعو أيديهم بجذاء الجبهة صورة مايستعمل الآن فى السلام العسكرى

ثم نزلنا من فوق السطح قاصدين التفرج على هذا الهيكل من الخارج ومشينا حوله على تلال مرتفعة من الردم فرأينا كثيرا من صور الكهنة والملوك والآلهة وأهم تلك الصور صورة الملكة كليوبطره وهى أقدم من وجد مرسوما على هذا الهيكل من الملوك وطولها يزيد على ثمانية أمتار ورأينا بها أيضا الميزاب الذى تنزل منه المياه وعليه صورة أسد مستوفز كانه يريد الفتك بانسان وقد علت الارض على ذلك الهيكل حتى صار يتوصل اليها بعدة درجات بناها ماريت باشا مع الباب الاكبر للرحبة الاولى

ثم مشينا قليلا الى الخلف فرأينا هيكلا كبيرا كان مختصا بعبادة ابيس ورأينا صور كثير من البقر يشبه البقر الانكليزى ولعل هذا النوع كان منتشرا فى مصر فى ذلك الحين لان المصريين كانوا لا يعظمون من الحيوانات الا ما كان نافعا لهم وهذا المعبد به كثير من الردم ولم يظهر منه الى الآن ثم مشينا جهة الشمال الشرقى حتى انتهينا الى معبد (مامترى) وبه صورة الصندوق الذى ولدت عليه هاتور وايسيس وتماثيل كثير من الآلهة على اختلاف أنواعهم فمنهم اله النور واله الظلمة واله الخير واله الشر

ولكل صورة تناسبه وفى هذا المعبد تمثال شيطان منصوب على عمود رقيق من أسفله مركب من عدة سيقان تأخذ فى العظم شيأ فشيأ أى انها مخاريط ناقصة قاعدتها الصغرى أسفل والكبرى أعلى وهذا المعبد صغير كسابقه وليس له أهمية عند السياحين لعدم الكتابة عليه وهذه الهياكل الثلاثة محوطة بسور متهدم مبنى باللبن المجفف طوله مائتان وأربعة وتسعون مترا وعرضه مائتان واثنان وتسعون مترا وقد مر الكلام على بابه وهى موضوعة فى وسط دندرة القديمة ثم امتطينا الركائب وعدنا الى الباخرة فى الساعة الثالثة بعد الظهر فسارت بنا قاصدة مدينة طيوه القديمة وما منا الا وهو معجب بما رآه

(الاقصر) ولم تزل السفينة تمر بنا على الشواطئ حتى رست على الاقصر بالشاطئ الشرقى فى الساعة الثامنة من مساء يوم الجمعه وكان المبيت بها وهى تبعد عن القاهرة بنحو اربعمائة وخمسين ميلا وسميت بهذا الاسم لكثرة ما كان بها من القصور وهى محط السياحين لعظم آثارها وبها التلغراف والبوسته والفنادق المعدة للاكل وغير ذلك فبتنا بها تلك الليلة

(اليوم الثامن) ولما أتت الساعة الثامنة من صبيحة يوم السبت العشرين من شعبان سنة ١٣٠٩ أعدت لنا الزوارق بالشاطئ فركبنا فيها وسارت بنا قاصدة الشاطئ الغربى فلما وصلناه قابلتنا الركائب المعدة لرؤية آثار القرية وهى قسم من مدينة طيوة القديمة لانها كانت عبارة عن الاقصر والكرنك والقرنة وهبو فركبنا الركائب وسرنا على رمال متراكمة نسجتها الريح بمناسجها الطبيعية فكنا نراها كسطح بحر حركته كف النسيم وهذه الرمال تعلوها مياه النيل وقت فيضانه وبعد ساعة تقريبا انتهى بنا المسير الى معبد أمون رع الذى بناه سيتى الاول وأتمه ابنه رمسيس الثانى ولكن الزمان نقص من بهجته وحط من نضارته فرأينا ثلاثة أبواب تفتح للشرق أعظمها أوسطها وامام تلك الابواب عشرة أعمدة ممتدة من الشمال الى الجنوب كل عمود منها مركب من عدة قطع الاولى اسطوانية قطرها نحو ٢٫٥ م والثانية مركبة من

(معبد امون رع)

سبعة مخاريط ناقصة قاعدتها الصغرى أسفل والكبرى أعلى والثالثة من أسفلها من سبع اسطوانات ومن أعلاها تجتمع وتكون اسطوانة واحدة وباقى القطع اسطوانية

ونقوش جدر هذا المعبد يفهم منها أن فرعون كان يعظم الا لهة وحده بدون واسطة الكهنة بخلاف ما كنا نراه فى غيره فان تقرب الملك للاله كان بواسطة الكهنة ومن هذا يعلم أن الكهنة لم يكن لهم دخل فى السياسة فى ذلك الزمن أو أن فرعون كان كاهنا وملكا معا ويؤخذ من تلك النقوش أيضا أن الاله كان يخاطب الملك بقوله قد وهبناك القوة والعظمة والنصرة ويوجد الملك مرسوما مع بعض الآلهة والناس تعظمهما وهذا يدل على أن الامر كان مشتركا بينهما وكل باب من أبواب هذا المعبد يدخل منه الى رحبة فأما الاولى من جهة الشمال فسقفها قد محى من صحيفة الوجود وبناؤها قد تخرب بحيث لم تبق منه أيدى الحوادث سوى قطع من الاحجار البالية وفى وسط هذه الرحبة صفان من العمد متقابلان كل صف ثلاثة وفيها ست غرف متقابلة ثلاث منها على يمين الداخل وثلاث على يساره

وأما الباب الثانى فيوصل الى غرفة متخربة كثيرا وعلى غالب جدرها صور رمسيس الثانى يقدم البخور الى أمون رع واللبن والنبيذ الى الاله نوت ويرى على كرطوش هنالك مامعناه

حققت الشمس أن رمسيس هو الفقير الوطنى وتحت ذلك سطر معناه أمير الامراء وآخر معناه ملك مصر وفى بعض المحال صورة سيتى الاول وهو فى ريعان الشباب واقف امام سفينة فيها تابوت يحتوى على اله الحق ناشرا جناحيه كانه يضم اليه جميع الاشياء وفى مقدمة هذه السفينة صورة رأس شاة وهو رمز عندهم للارواح لان اسمها عندهم كصوت الشاة

(باب الملوك) ثم ركبنا الركائب قاصدين باب الملوك فسرنا بين جبلين شاهقين فى طريق نظمت أيام زيارة المغفور له محمد توفيق باشا الخديوى السابق وكنا نقطع الزمن فى تمتيع أنظارنا

برؤية الصخور الغريبة التى بعضها مركب من طبقات رقيقة جدا ملون باللون الاصفر ونرى الجبلين ذات اليمين وذات الشمال كان بهما مقاطع أحجار أو حصلت هنالك زلازل غيرتهما عن حالتهما الاصلية وما زالنا كذلك حتى وصلنا ببيان الملوك أومدينة الاموات كما قاله مؤرخو اليونان وهى موضوعة على بعد ثلاثة أميال من النهر وكان قدماء المصريين يعتقدون أن الارواح لاتنزع من الجسم مادام محفوظا فبذلوا الطاقة فى ايجاد قبور لايؤثر عليها كر الايام ومر الدهور فاختار الفراعنة الاول احداث الاهرام لحفظ جثثهم الى الابد واختار المتأخرون منهم أن يتخذوا قبورهم مغارات فى الجبال حذرا من أن تسطو يد الزمان على الاهرام فتدمرها أو تغير الامم الاجنبية على هذه الديار فتهدمها فتنزع الروح من أجسادهم فاتخذت ملوك طيوه مقابرهم فى الجبل المقابل للمدينة من جهة الغرب

وأما الفقراء والاهالى فلم يدر فى أى موضع كانوا يقبرون وكل قبر من هذه القبور عبارة عن سراى فى الجبل مزركشة بالصور اللطيفة والنقوش الغريبة ويبلغ عدد المقابر نحو خمس وثلاثين والسياحون يدخلون أهمها وهو خمس فلما وصلنا هذه المقابر ابتدأنا بقبر رمسيس الرابع وهو من قبل الهجرة بألف وسبعمائة وثمان وثمانين سنة فدخلناه واذا بصورته على اليسار يقدم للاله هرمكس الاشياء التى ينشرح اليها وعلى جدر هذا القبر كثير من الصور والآثار الدالة على الاحوال المنزلية وهى عبارة عن ألوان بديعة وليست نقوشا فى الاحجار وقطعنا أثناء دخولنا ستة أبواب حتى وصلنا الى غرفة فيها تابوت عظيم من الحجر الجرانيت يزيد طوله عن ثلاثة أمتار ويبلغ عرضه وارتفاعه نحو المترين وهو موجود للآن وكان به جثة الملك وهذا التابوت قطعة واحدة عليها كثير من النقوش الدالة على أعمال الملك ثم دخلنا قبر رمسيس التاسع المشهور بمغايرة نقوشه لغيره وهو نازل فى الارض نزولا عظيما على هيئة خط منكسر يستقيم نحو المترين ثم ينحدر انحدارا عظيما وسقفه محلى بالقبة السماوية وعلى جانبى الداخل يرى قدر عظيم من الصور كسالفه وفى منتهاه فسقية كان بها جثة رمسيس

التاسع ثم توجهنا الى قبر رمسيس السادس ومن غريب مافيه سقفه المزدان برسوم القبة ارقاء بافلاكها ومسيرها وما يطوف بها من الارواح على معتقدهم وكلما التفت الداخل يمنة أويسرة رأى محال ملونة بغريب الالوان فى تلك الازمان بحيث لايكاد يوجد لون فى هذا الزمن الاوهو منقوش على تلك الجدران وفى انتهاء هذا القبر يوجد تابوت كانت به جثة الملك ولما رأينا مابهذه المقبرة عدنا الى قبر رمسيس الثالث وتاريخه قبل الهجرة بألف وثمانمائة واثنتين وعشرين سنة ويسمى قبر بروس لان مستكشفه السياح (بروس) فوجدنا بجهتى الدهليز قاعات عليها رسوم مهمة جدا فيها رسم الكواكب والفرش والانسجة والدروع الحديدية وباقى الآلات الحربية والزراعية ورأينا أيضا فى بعض جهاتها قومامن المصريين قائمين بمحاربة العدو وخذلانه متخذين الاحتياطات الحربية على أحسن نظام والتابوت الذى من الصوان الاحمر الذى كان فيه جثة رمسيس الثالث هو الآن بسراى اللوفر بباريس عاصمة فرانسا وغطاؤه فى مدينة (كسبرد) وجثة هذا الملك بمتحف الجيزه وطول القبر المذكور نحو أربعمائة قدم وفى أسفل جدر هذا القبر كتابة يونانية تدل على أن السياحين كانوا يقصدون هذه القبور زمن البطالسة

ومن أحسن الاتفاق اننا دخلنا أولا هذه القبور قبل أن ندخل ذلك القصر الشاهق والمكان الرفيع وهو قبر سيتى الاول رأس العائلة التاسعة عشرة وهو قبل الهجرة بألف وتسعمائة وثمان وثمانين سنة لتأتى الامور بالتدريج خوفا من أن تزيد بنا الدهشة حتى تخرج بنا عن حد الدقة فى التصور والامعان فى النقوش فلما قضينا الغرض من تلك القبور سرنا قاصدين ذلك القبر وقد استكشفه السياح بيزون فى أوائل هذا القرن ووجدت به أمارات تدل على أنه استكشف قبل هذه المرة الاأن التابوت المصنوع من الرخام لم يزل موضوعا فى محله فدخلنا اليه بسلم ثم بانحدار غائر جدا بدون درج ثم بسلم ثم بانحدار حتى وصلنا رحبة بها أربعة عمد مزخرفة بما يكل البراع عن ذكر يسيره فكيف بكثيره وبعد تلك الرحبة غرفة الغرض

منها اظهار كيفية الرسم والنقش ولذا تراهم قد حددوا القدر اللازم لنقش السورة من الحائط ثم عملوا مكان الاعضاء فيه وكل وضع من أوضاعها أثناء العمل له شكل وصورة خاصة فلله هذه الامة فقد رقت أوج الرفعة فى أنظار المتأخرين بما سهلته لهم من الاوعار وذللته من المصاعب لئلا يقع المتأخر فى لبس من كيفية العمل فهكذا تكون الامة ساعية فى نفع الخليقة ثم تركنا تلك الغرفة ونزلنا فى مغار عميق ممتد تحت طبقات الجبل منحط عن سطح الارض الاصلية بقدر مائة وخمسين قدما وطول القبر نحو خمسمائة قدم (وقد وجدت جثة سيتى الاول بالدير البحرى وأحضرت الى متحف الجيزه) وكانت بايدينا الشموع فرأينا الهواء فى هذا المحل قليلا خصوصا وقد أخذ منه لهيب الشموع قدرا عظيما فاستعنا على الدخول فى هذا الغار العظيم بحب الوقوف على ما كان لقدمائنا من العظمة والقوة والتقدم فى العلوم والمعارف ومازلنا سائرين حتى انتهينا الى محل متسع جدا فرأينا به صورة الثور المقدس وصورة الاله افتاح وهو يصنع الآلهة من عيونه والخلق من فمه وفى هذا المحل مسطبة تحيط بثلاث جهات منه مرتفعة الى مايقارب كتف الانسان وفى آخره غار صغير لايمكن الدخول فيه وانما كنا نرى الجزء الظاهر منه بواسطة الشموع والسلك المغنيسى الذى كنا نستعمله فى جميع المحال المظلمة والجزء الغائر نرمى فيه صغير الحصى لنرى عمقه ثم دخلنا قاعة أخرى فرأينا بها صورة سيتى وهو لابس ملابس الملوك والكهنة معا وهذا يدل على أنه كان ملكا وكاهنا فى آن واحد أى كانت فى يده السلطة السياسية والدينية معا

(وصف عام لجميع هذه القبور)

يرى فى جميع هذه المقابر صورة آلهة المصريين بهيآت عجيبة وصور ثعابين كبيرة جدا كانها تجرى فى أطراف المحل وفى السقوف والارض وصورة قوم يصطلون العذاب بما كسبوا فمنهم من تقطع رأسه ومنهم من يلقى فى النار الى غير ذلك من أنواع العذاب والذى يرى هذا وهو غير عالم بالديانة المصرية القديمة يهوله الامر وينزع من هذه الاحوال المستغربة فان المصريين كانوا يتحاكمون فى الميت ليعلموا من يستحق

الدفن ومن لايستحقه وكل هذه رموز لمعتقدات الديانة فمثلا الثعابين الموجودة فى المقابر هى رموز للآفات التى تعارض الروح عند صعودها الى السماء فان لم تكن مذنبة سلمت من الآفات وارتقت الى السموات والقاعات التى فى القبور اشارة الى العقبات وأما النقوش التى على الجدران والسقوف فهى عبارة عن استغاثات ودعوات من الارواح الى الآلهة وفى آخر قاعة من القبر يرى أن الروح خلصت من جميع العقبات وانتهت الى الحياة الابدية ثم بعد أن قضينا العجب من مشاهدة هذا القبر ملنا الى باب قبر آخر جيء بغدائنا فيه وقد أخذ منا التعب مأخذه فأخذنا نتناول الطعام قاضين العجب مما رأيناه متفكرين فيما كانت عليه الامة المصرية فى تلك الازمان من التقدم فى العلوم والصنائع

(بربه هاتاسو) ثم بعد ذلك قصدنا الذهاب الى بربة الملكة هاتاسو رابعة ملوك العائلة الثامنة عشرة وقد كانت استولت على الملك بطريق الوصاية على أخيها تحتمس الثالث لقصوره بعد أن قتلت أخاها الاكبر تحتمس الثانى ومحت اسمه من الآثار وبعد أن بلغ تحتمس الثالث أشده فعل بها جميع مافعلته باخيه وذلك لاسباب سياسية حصلت بينهما ولما كان الجبل يحول بيننا وبين هذه البربة والصعود عليه وان كان على الاقدام أقل صعوبة من الوصول اليها على المطايا من الطريق السهلة لطول المسافة عمدنا الى طريق وصعدنا عليه صعودا يقرب من أن يكون رأسيا حتى ان بعضنا جلس ليستريح فى منتصف الجبل ولم نصل الى القمة الا بعد مشقة عظيمة وكان الواحد منا اذا نظر الى أسفل الجبل ترتعد فرائصه فيشجع نفسه ويعدها بما ستراه من نفيس الآثار وعتيق المبانى وبعد نحو ثلث ساعة حاذينا البربة المذكورة فترجلنا نازلين والمشقة لاتكاد تنقص عن مشقة الصعود لان الطريق الثانية أقرب لان تكون عمودية من الاولى فلما نزلنا ركبنا قليلا حتى أتينا المعبد المسمى بالدير البحرى وقد بنته هاتاسو شقيقة وزوجة تحتمس الثانى سنة ٢٢٢٢ قبل الهجرة وهناك تظهر براعة مهندسه المعمارى وهو سنحوت الذى حاز رضاء الملكة وقربته كثيرا منها حتى صار رئيس كتاب الاعمال

وهو عبارة عن مكان متخرب فيـه باب من الجرانيت الى الشرق لم تزل اطلاله باقية ويقابله من الداخل باب آخر جدرانه لم تزل باقية عليها الصور النفيسة والالوان البديعة اذ يوجد على تلك الجدران صور الغنائم التى أتت بها الملكة من بلاد الهند واليمن حيث شنت الغارة عليهم وأتت بالسـفن وريش النعام وسبائك الذهب وغير ذلك حتى انه يوجد على أحد الجدران ميزان يزنون به البقر بالسـبائك الذهبية ولـكن سقف هذا المعبد قد انتابته يد الزمان وغيره الحدثان وبجوار هذا المعبد الى الشرق مكان آخر تابع له به صفان من العمد كل صف عشرة قد سطا الزمان عليها فلم يبق منها غير نحو المترين من كل عمود وهذا الباقى عليه من غريب التماثيل المحكمة مالم نتمكن من اسـتقصائه والوقوف على جميعه وبجوار تلك العمـــد من الشرق حائط مرسوم عليه صورة الملكة هاتاسو على رأسها الشمس وهى تقدم الى المعبود امن رع ماأتت به من البلاد التى أغارت عليها كريش النعام والاشجار ذات الروائح الذكية وسن الفيل وما شاكل ذلك من الهـدايا والتحف ويوجد بذلك الحائط صور أربعة أشخاص يكيلون الذهب بالمكيال وفى جنوب هذا المحل محل آخر يتبع ذلك المعبد بابه الى الشرق وفيـه عمودان على يمين ويسار الداخل وعدة قاعات مزخرفة بانواع الصور والنقوش وبه صورة الملك يرضـع البقرة وهو جاث تحتها على ركبتيه وتمثال ثور بين قرنيه صورة الشمس كل ذلك دليل على ما كان عنـدهم لنوع البقر من العبادة والاحترام

(هيكل رمسيوم)

وبعد أن متعنا النظر بهـذه التماثيل الآخذة بالالباب امتطينا الدواب آتين هيكل رمسيوم ولم يمض نحو نصف ساعة حتى أدركناه واذا به قد آل الى أعمـدة وصخور هائلة قد زحف عليها الدهر بخيله ورجله ولم تغن ألوهية المقدسين ولا عظمة الملوك عنه شيأ والذى أبقته تلك الازمان من هذا الهيكل الذى يظهر على اطلاله أنه كان على مكان عظيم من المتانة والاحكام رحبتان احداهـما تشـتمل على نحو سـتة وثلاثين عمودا غير الواقعـة وهى من الحجر الجيرى كل عمود منها احدى عشرة قطعة

الاولى اسطوانية قطرها نحو ثلاثة أمتار والثانية مخروطية والتسعة الباقية اسطوانية والرحبة الثانية متخربة أكثر من الاولى وبها صور قائمة على أقدامها ملتصقة بالاعمدة ضامة ذراعيها وفخذيها على صورة الاجسام المحنطة وهى موضوعة على هيئة صفوف متقابلة وبه أيضا من النقوش والتماثيل مايماثله عظما وأبهة وفخرا وبانيه هو رمسيس الثانى وهو من أعظم المبانى وأوسعها ويقال انه كان مرسوما عليه صورة النجوم والافلاك من الذهب الخالص وأن محيطها ٦٠٠ قدم وسمكها قدم

وبه صورة رمسيس على هيئات مختلفة فتارة تراه مشتغلا بالعبادة وطورا تجده جالسا مع الآلهة والناس تقدم اليه القربان وآونة يقهر العباد ويخرب البلاد ويسبى الاولاد

وقد كتب على جدره أن رمسيس كان يحارب أقواما من آسيا بقرب بلاد الشام وأن قومه تركوه فى معمعة القتال وفروا فلم يبال بجمع الاعداء وكر عليهم فى عربته فقتل رؤساءهم وشتت جمعهم فكان تارة يرى فى حالة الهجوم وأعداؤه فى حالة القهقرى وأخرى ترى أعداءه واقعين تحت عجل عربته وقد أغرق بعضهم فى نهر الاردن وعاد منتصرا ويرى فى صورة أخرى جالسا على سريره يعنف قومه على تركهم اياه وغير ذلك ويوجد أمام هذا الهيكل صورة رمسيس وهى عبارة عن قطعة من الجرانيت ارتفاعها ١٧,٥ م ووزنها ١٫٢١٧٫٨٧٢ كيلوجراما ولكن عوامل الازمان لعبت بها فكسرتها وتركتها عبرة لمن يعتبر

وبقرب هذه الصورة صورة رجل غريق منكس لاخراج ماتجوفه من الماء وصورة أخرى لرمسيس من الحجر الاسود وعليها اسم مكتشفها

ويقال ان بعض هذا الهيكل كان معبدا والبعض الآخر قصرا وعلى مسافة منه ترى صخور متهدمة تشغل كثيرا من الارض بعضها مغطى بالاتربة يقال انها معبد ميمون وبعد ذلك عدنا الى السفينة عند الساعة الثالثة بعد الظهر فاسترحنا بها نحو الساعة ثم خرجنا لمشاهدة مدينة الاقصر فقصدنا أولا مسجد سيدى يوسف أبى الحجاج (الاقصر)

واذابه خلف آثار الاقصر حتى ان بعض أعمدتها يرتكز عليها بعض سقوفه فأدينا به ماعلينا من الصلاة ثم مشينا فى طرق البلدة واذا هى غير منتظمة الشوارع والازقة وليس بناؤها بالمستحق الذكر ثم عدنا الى الباخرة عند الساعة السابعة بعد الظهر متأملين فيما كانت عليه هذه المدينة من العظمة وما آلت اليه حالتها الآن ولكن تلك سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا

(اليوم التاسع وآثار الكرنك)

ولما كانت الساعة الثامنة من صبيحة يوم الاحد الحادى والعشرين من شعبان سنة ١٣٠٩ بارحنا الباخرة لمشاهدة آثار الكرنك فركبنا المطايا ولم يمض نحو نصف ساعة حتى أدركنا تلك الآثار وهى بالشاطئ الشرقى للنيل وفى الجهة الشمالية لمدينة الاقصر فدخلنا من باب عظيم يفتح الى الجنوب يبلغ ارتفاعه نحو ٢٠ م يظهر للرائى أنه لم يتم بناؤه منقوش عليه كثير من صور الملوك وصور الآلهة كصورة الشمس وغيرها ورأينا أمامه صفين من أبى الهول (سفنكس) بينهما طريق متسع طوله نحو ٦٥٠٠ قدم وعرضه ٨٠ قدما وفى نهايته طريق آخر يوصل الى هيكل (موت) محاط بصور أبى الهول والذى يظهر أن ذينك الصفين كانا ممتدين الى باب برى الاقصر وأن ذلك الطريق كان معدا للمواكب والمحافل ولكن يد الزمان أثرت فيها فشوهتها وبدخولنا من ذلك الباب رأينا فى دهليزه كثيرا من العمد ملقاة على الارض لما جنته عليها أيدى الزلازل ولم يبق منها غير عمود واحد فانه باق على حاله وشاهدنا فى مواجهة ذلك الباب بابا شاهقا كالاول أمام الايوان المسمى ايوان الكرنك قد تهدمت جهة منه فتراكمت صخوره بعضها فوق بعض وأمام هذا الايوان تمثال هائل للملك سيزوستريس قد غيرت أوصافه واشتبهت معالمه ولما دخلنا فى هذا الايوان حصلت لنا الدهشة والحيرة من عظمه واحكام صنعته اذ طوله ٣١٤ قدما وعرضه ١٥٠ وبه ١٣٤ عمودا موضوعة على هيئة صفوف منتظمة منها الاثنا عشر الوسطى ارتفاع كل منها ٦٠ ق ومحيطه ٣٥ وارتفاع كل واحد من الباقى ٤٠ ومحيطه ٢٧ والمؤسس لهذه الرحبة هو سيتى وأقام بها ٧٩ عمودا وأقام رمسيس الثانى ٥٤ ورمسيس الاول عمودا

واحدا وعلى هـذه العمد تيجان ضخمة وفوق تلك التيجان سقف من الحجر الصخرى العظيم وكل ذلك منقوش بابدع الالوان وغرائب الصور والنقوش ويندهش الداخل فيه حيث يرى أن ماأبقته يد الزمان قوى متين كأنه بنى حديثا مع أنه مضى عليه من الزمن مالا يتصور بقاء الجبال معـه فانظر أيها المتأمل هل لغير الامة المصرية مبان كبانيهم وهل كان فى قوة أية أمة من الامم أن تجاريهم فى أعمالهم وانظر كيف قطعت هذه الاحجار العظيمة من تلك الجبال البعيـدة وكيف تم لهم نقلها ووضـعها على هـذا النظام وكيف بقيت الى أيامنا هذه مع ماعارضها من الزلازل والصواعق والاقوام المغيرة على هذه الديار من العرب وغيرهم

ان هذه الا صحائف تنبئ عن عظمة المصريين وسطوتهم وعلومهم وصنائعهم ويقال ان الذى ابتدأ فى بناء هذا الايوان هو منفتاح الاول والمتمم له هو رمسيس الاكبر وبين العمود الثانى والثالث من الصف الثانى على يمين الداخل صورة زوجة رمسيس الاكبر وقد كانت مختفية تحت الثرى وأظهرت بالاستكشاف ويقال ان هذا الايوان لم يكن معبدا وانما كان معدا للجمعيات العامة

وأغلب ماعلى الجدران من النقوش عبارة عن ذكر واقعات وتفصيلها وهيئتها فترى النقاش قد قسم الحائط الى عدة أقسام جعل كل قسم منها مختصا بتفصيل واقعة وترى فى كل قسم الملك متكيفا بكيفيات مختلفة فتارة تراه هاجما على أعدائه يطعنهم ذات اليمين وذات الشمال وأخرى تنظره فى عربته بين جيشه والاعداء منهزمة أمامهم قد ضربت عليهم الذلة والمسكنة وتارة تراه كأنه أخذ بشـعور جم غفير من اعدائه بيسراه ناشرا السـيف عليهم بيمناه وهم جاثون على ركبهم تحت قدميه هيئة الشجاعة والقوة وفى النقش تظهر على الاعداء صورة الاطاعة والامتثال والتسليم لكل مايفعل بهم حتى تراهم يقتلعون غابات بلادهم لتخلص الطريق للمصريين وكل طائفة منهـم تؤدى مايجب عليها للملك من التبجيـل الى غـير ذلك من هيئات القوة والضـعف ومنقوش على الحائط الشمالى لهذا الايوان مامعناه

ان الملك سيتى حارب كثيرا من أهل آسيا كالارمن والعراقيين والشاذو ويرى فى بعض النقوش ان هـذا الملك فى عربتـه داخل فى الحرب والشاذو منهزمون أمامه شر هزيمـة وقد أوقع بهم ضربا وطعنا وكأنهم فى هزيمتهم يدخلون قلعة من القلاع ويرى فى واقعة أخرى أنه هزم أخصامه وأتى بكثير منهم أسرى ومر بهم على جملة قلاع وقابله أمراء دولته يهنؤنه بالنصرة عليهم وعلى الحائط الجنوبى فى جهة الخارج نقوش تدل على واقعة حصلت فيهـا النصرة للملك سيتاك أول ملوك العائلة الثانيـة والعشرين وهو يرى فيها ناشرا يده كأنه يفتك بالاسرى الجاثين تحت أقدامه

ويرى فى الجهة الشمالية أيضـا كأن المعبود أمون رع مرسوم مع امرأة هى رمز لمصر العليا وكلاهما واقف تجـاه الملك وكان نحو مائة وخمسـين انسـانا يسـيرون خلف المقدسين وهم يحدقون بنظرهم من نحو قلعة أومدينة يشير كل انسان منهم الى قبيلة من التى تغلب عليها ويقدمونها هدية اليه

ويرى فى الحائط العمودى مع هذا الحائط لوح كبير الى الجهة الشرقية عليه قصيدة لبنطوور الشاعر يمدح بها رمسيس الاكبر ويهنئه باتصاره على أمة الخيتاس وبجوار هذه القصيدة نقوش تدل على شروط الصلح بينه وبين تلك الامة فى السنة الحادية والعشرين من حكمه

ويوجد بالقرب من هذا الايوان مبان متخربة قديمة من أهمها مسلة من الجرانيت يبلغ ارتفاعها نحو ٣٢,٢ م وهى من صنع الملكة هاتاسو بنت تحتمس الاول وأخت الثانى والثالث

وفى أسفلها خط أفقى يؤخذ منه أن قمة هذه المسلة كانت مغطاة بطبقة من الذهب ولعل المراد بالقمة شبه الهرم الذى باعلاها وأن هذه المسلة هى ونظيرتها التى كسرت صـنعتا فى سـبعة شهور من ابتداء قطعهما من الجبل الى أن تمت زخرفتهما ومن ملاسة نقوشها يسـتدل على أنها كانت مموهة بالطلاء الذهبى وهذه المسلة هى أرفع مسلة صـنعها المصريون وهى تزيد على المسلة التى نقلت الى باريس بنحو ١١ م

ويوجد هنالك رسم الملكة هاتاسو بين قرنيها قرص الشمس وهى بصورة رجل لان شرف ديانة المصريين والملك يمنع من رسم امرأة على الآثار وداخل هذا الباب باب آخر أمامه مسلتان صغيرتان مزخرفتان باحسن النقوش ثم دخلنا فى تلك الابنية المتخربة حتى وصلنا الى عدة أمكنة بنيت قبل الايوان المتقدم بعدة قرون وهى من مبانى العائلة الثانية عشرة وبها أحد فراعنة تلك العائلة وهو المسمى ازورتزن الاول وهو من أعظم ملوك هذه العائلة أبهة وفخرا واسمه منقوش على بقايا بعض العمد وهذه البقايا وان كانت قليلة لكنها جديرة بمزيد الاعتناء لانها تسبق الهجرة بأكثر من ٢٠ قرنا وكانت باحدى زوايا هذا القصر المتهدم قاعة تسمى قاعة الكرنك نقلت الى باريس بعد كثير من المشقة والعناء ثم سرنا الى الجهة الجنوبية من ايوان الكرنك فرأينا أربعة أبواب بعضها داخل بعض على ابعاد معينة يسمى الثالث بباب الملك هوروس أحد ملوك العائلة الثامنة عشرة وهذا الملك ممن جعلوا جل اهتمامهم زخرفة المبانى لا القوة والمتانة وبقرب هذا الايوان معبد باسم الاله خونس وقد حفر هنالك بعض السياحين فاكتشف ١٢ قاعة على احداها صورة اله له سبعة رؤس ولم يوجد مثله عند المصريين فيظهر أنه غريب ليس من آلهة المصريين وهنالك معبد بقرب سراى الكرنك باسم طهرافه أحد ملوك الحبشة وفى نقوش الكرنك أن بعض الكهنة اختلس الملك ووضع له كرتوشا بين كراتيش الملوك ويشاهد فى المعبد أثر قدمين عليهما نقوش تدل على أن هذا المكان كانت تقصده الحجاج من كل مكان وانه كان عندهم المحل الاقدس وفى أى مكان كانت تمتد أنظارنا نبصر أطلال المبانى الشاهقة والقصور الكبيرة

وبعد أن شاهدنا جميع تلك الآثار ومتعنا برؤيتها الابصار عدنا الى السفينة فمكثنا بها ريثما تناولنا الطعام واسترحنا من الآلام ثم فارقناها عند الساعة الرابعة بعد الظهر لمشاهدة مانراه أمامنا من الآثار الاقصرية التى بينها وبين آثار الكرنك تمام التشابه من حيث اختلاف مؤسسيها وأغلبها داخل فى مساكن البلدة بحيث لم يعد له أثر ظاهر

وتاريخها أبســط وأقل شـططا وأقدم هـذه المبانى مابنى فى زمن نحو تمس الثالث وتماثيله قائمة للآن تجاه النيل وما بها من النقوش والآثار مختص بولادته وتربيته فى حماية الآلهة فقد رأينا بها مايدل على أن أحد الكهنة بشر أمه بالحمل فيـه ثم بانه سيربى فى حماية الآلهة وأنه سيكون من أعظم ملوك مصر قوة وسطوة وقد تمكن منه الكبر حتى لقب نفسه ملك المصريين (منف وطيبة) والقطرين (الوجهين القبلى والبحرى) والخافقين (آسيا وافريقيه) وادعى الالوهية التامة والقدرة المطلقة وبهذه البربى رسوم كثيرة كلها جديرة بمزيد الاعتناء ويؤخذ من بعض علامات عليها أن القبط كانت استعملت بعضها مساكن والبغض كنائس كما يؤخذ من محرابهم الذى لايزال بالجهة الجنوبية وبجانبها الشمالى دهليز من أعمدة نصبها من تولى الملك بعد بانيها واتخذها طريقا للسراى التى بناها رمسيس الاكبر ويرى على هذه العمد أثر أبهة عظيمة ومجد تليد فسرنا بين هاتيك العمد حتى وصلنا تلك السراى واذا بداخلها فضاء متسع النواحى يبلغ ٢٥٠٠ م مربع يحيط به دهليز مسقوف وبها كثير من العمد العظيمة التى استعمل بعضها فى مسجد سيدى أبى الحجاج الذى اتخذ فى الجهة الشرقية من هذه السراى وبها أربع صور لرمسيس الاكبر موضوعة على استقامة واحدة من الشرق الى الغرب يبلغ ارتفاع كل منها ٢٠ قدما وهو قابض على صورة ختم وصكوك لتنفيذ أشغال المملكة وتحت احدى ذراعيـه صورة ابنته أو زوجته وأمام باب هـذه السراى المسلة التى على يسار الداخل وهى قرينة المسلة التى نقلها الفرنسيس الى بلادهم ويبلغ ارتفاعها ٢٢,٨ م ووزنها ٨٠٠٠ قنطار وعليها كثير من النقوش الغائرة الباهرة الدالة على أن رمسيس الثانى ابن الشمس ومحبوبها وهو اله الخير وسلطان الدنيا وقاهر الامم وأمير الامراء وأنه قد زين مدينـة طيبة بالمبانى التى لاتفنى ولا تغيرها الايام

وليعلم أن المسلات كانت عنـد المصريين دليلا على البقاء ولذلك لاتوجد الا أمام ايوان كما أن أبا الهول عندهم كان دليلا على القـدرة التامة والسـلطة المطلقة

(ويوجد فى الجهة الشرقية من الحائط الشمالى مواضع داخله فى الحائط كانت موضوعة بها موانع الصواعق وان كان اختراعها معدودا حديث العهد)

ويرى على الباب من الرسوم ما ينبئ عن وقائع رمسيس وانتصاره تقليدا لما فعله والده فى سراى الكرنك

ويعلم من جميع هذه الآثار أنه حصل فيها ترميم قبل الميلاد كما يستدل على أن من أصلح هذه المبانى هو أحد ملوك الحبشة المدعو سباقون

ثم من بعد مشاهدة تلك الآثار عدنا الى الباخرة ولم يبق علينا من آثار مدينة طيبه الا ما يوجد فى مدينة هبو فمكثنا بها نحو الساعة ثم خرجنا قاصدين منزل حضرة احمد افندى عياد أحد وجهاء تلك البلدة ووكيل قناصل انكلترا والبروسيا والبلجيكا اجابة لدعوة منه ولو لم يكن من مآثر السياحة الا التعرف بالرجال الذين لهم الحظ الاوفر من الآداب والتهذيب ودماثة الاخلاق وكرم الطباع لكفى ذلك حاملا عليها وباعثا على احتمال شدائدها ولا تحمل هذه الاوراق جميع من تعرفنا به وشرح العلائق التى أخذت من القلوب مأخذها غير أنا لانهمل ذلك بالكلية حتى يكون اجحافا بالرحلة وداعيا الى أسف القارئ ومن الامثال (مالا يدرك كله لا يترك كله) والنفس ترتاح للغريب ارتياح الظمآن الى برد الشراب

فمما نعده من الآثار الجليلة المعربة عن كمال اخلاص الوطنية احتفالهم بنا فى أية بلدة حللنا بها وكان من ذلك أنه حينما رست بنا الباخرة على بلدة الاقصر قابلنا حضرة احمد افندى مصطفى عياد وبعد أن تبادلنا التحايا وعبارات السلام فى السفينة رغب أن نتوجه الى منزله ليلة الاثنين الثانى والعشرين من شعبان سنة ١٣٠٩ وطلب من حضرة رئيس الارسالية تلبية طلبه لما أن ذلك عادة له مع عموم السياحين بتلك الجهات فاجابه الى طلبه فأرانا من البشاشة وارتياحه الينا واكرامه لنا ما ينبغى أن يصنعه الصديق عند وفود صديقه وطلب أن يثبت كل منا اسمه فى دفتر هناك معد للسياحين فكان ذلك ولقد شاهدنا عنده عددا عظيما من الدفاتر التى ملئت صحائفها

باسماء السياحين من ملوك وأكابر أوربا وأمريكا وآسيا وأحيا ليلته بالاذكار أولا ثم بقراءة المولد الشريف ثانيا وقبل الافتتاح فى قراءة المولد الشريف قام أحد الفضلاء من تلك البلدة فى وسط النادى وأنشد

لاح السرور وأشرقت أنواره * بصعيد مصر فحبذا زواره
بقدومكم تزهو البلاد جميعها * وعلى الاخص الاقصرين فخاره
فعليكم منى السلام تحيـة * تهدى لجمع عنـدنا أقداره

فقام على أثره الشيخ محمد المهدى أحد طلبة دار العلوم وارتجل خطبة وجيزة وهى سادتى (ان من الواجب أن يقابل الجميل بمثله وان حضرة الفاضل احمد افندى عياد قد أبان عن كمال عنايته وجميل مسرته بنا ولا يسعنا الا أن نرفع لحضرته ألوية الشكر ونثنى بلسان واحد على همته فى عموم الاندية بالثناء الجميل وأن هـذا الاثر العظيم لايصـدر الا من رجل خيرى محب للوطن العزيز وأهله مبرهن على صدق اخلاصه للحضرة الفخيمة الخديوية أدامها الله معززة برجالها الكرام ووزرائها الفخام آمين) وبعد أن صفق الجميع طربا لهذه الكلمات صغت الآذان لسماع المولد الشريف وعند تمامه قام حضرة الاستاذ الشيخ محمد سلامه أحد معلمى المدرسة المذكورة وقال

(كل له غرض يسعى ليدركه * والحر يجعل ادراك العلا غرضه

أيها الفضـلاء هـذه ليلة أشرقت أنوارها وتفتحت أزهارها لما عطر الارجاء من الاحاديث والاذكار ولو كانت الاشجار أقلاما والبحار مدادا والجوارح ألسـنا ماوفينا بشكر هذه اليد البيضاء ولكنى أقول كما قال أبو الطيب

على قدر أهل العزم تأتى العزائم * وتأتى على قدر الكرام المكارم

ولا غرابة فيما أبداه فهو من شجرة طيبة سطع عليها ضياء الامام الخطير سمو مولانا عباس باشا حلمى الثانى متعه الله باليمن والاقبال ما تعاقب الملوان وأشرق النيران والسلام)

ثم تلاه الشيخ احمد الازهرى أحد طلبة المدرسة المذكورة فقال سادتى (والله لو كان للسرور جسم يتبدى للعيان لما تبدى الا فى هذه الليلة التى أشرقت أنوارها باجتماع أهل المعارف فيها وتم احياؤها بالاذكار والقصة الشريفة النبوية ولما كان السبب المهم فى هذا الامر الجليل الذى يستوجب الثناء الجميل هو حضرة الفاضل احمد افندى مصطفى عياد وقفت هذا الموقف والتزمت أن أقدم لحضرته واجبات الشكر مكافأة له على ماقام به من هذا الامر المستحسن على رأى من قال

لاخيل عندك تهديها ولا مال * فليسعد النطق ان لم يسعد الحال

ولكن عند مانبهت فكرى وبحثت فى حافظتى لم أجد جملة تليق بمدحه فحملتنى هذه الحالة على الاعتراف بالعجز والقيام بشكره (والعجز عن شكركم ياسادتى شكر) على ألى أقول

وانى قاصر قولا فيامن * أردت مديحه قل ماتشاء

هذا وأرجو من الله أن يديم لنا الحضرة الفخيمة الخديوية ويمتعنا عموما بتوجه عنايتها الينا والسلام)

ثم قام على الاثر الشيخ محمد الابيارى أحد طلبة المدرسة المذكورة فقال (أيها السادة الفضلاء انا نرفع أكف الضراعة والابتهال لذى الجلال أن يعلى قدر حكومتنا الفخيمة العباسية ورجالها ذوى الاعمال المرضية اذ كانوا سببا فى حصول الخير لكم وعليكم سادتى أن تقدموا واجبات الشكر لمن أجرى الخير العظيم فى هذه الليلة الغراء وقابلكم بصدر منشرح وهو البارع الماجد احمد افندى مصطفى عياد وثناؤه بلسان الحال

ولو أنى ملأت الارض مدحا * لكنت مقصرا فيما أقول

فلا غرو أنه الرجل المتوشح بوشاح الكرامة وأن لسان حاله يقول

ونكرم جارنا مادام فينا * وتتبعه الكرامة حيث مالا)

وكان على رأس كل خطابة يصفق الحاضرون طربا وعند ذكر مولانا الخديوى يكررون (افندمز جوق يشا) وفى مقدمتهم حضرة الفاضل السيد بك بيومى وقد قدم حضرة الداعى المذكور لرئيس الارساليـة انه يود أن الحكومة تجعل هنالك مدرسة أميرية لما رأى أن التعليم هنالك فى مدارس الامريكان غير جيد ولما شاهد من تقدم المدارس الاميرية ورغبات الاهلين وعند عودتنا رفع الى حضرته تقريرا بتميم ذلك وقد أظهر حضرة الرئيس ارتياحه لذلك الامر

ثم خرجنا من منزله وقضينا مابقى من الليل فى السفينة ولما أتت الساعة الثامنة من صبيحة يوم الاثنين الثانى والعشرين من شعبان المكرم سنة ١٣٠٩ ركبنا فى الزوارق حتى أدركنا شاطئ النيل الغربى فركبنا المطايا وسرنا قاصدين مدينة هبو ولم نزل سائرين حتى وصلنا معبدا صغيرا بناه الملك طوطمس الثالث من ملوك العائلة الثامنة عشرة وكان ميالا الى المعالى حتى بلغت مصر فى زمنه أوج الكمال وقد توغل فى البلاد حتى اجتاز نهر الفرات واستولى على نينوى وجثته الآن بمتحف الجيزة وهذا المعبد وان كان صغيرا خلوا من القاعات وغفلا من الفخامة والعظم فهو محلى بجميل الصور وبهى الالوان (اليوم العاشر) (آثار مدينة هبو)

ثم ركبنا قليلا حتى دخلنا دير المدينة وهو بربى متخربة بناها أحد ملوك البطالسة وفيها صور كثير من الآلهة وهى مسورة بسور من اللبن محتوية على ثلاث قاعات احداها مزينة بالرسوم التى تنبئ عن حالة الروح بعد الوفاة حيث يوجد فيها صورة ميزان توزن به الاعمال وصورة الروح تستغيث بالآلهة وفيها صور نحو الاربعين من القضاة تحكم على المذنبين وتخلى الطائعين ولذلك سميت بقاعة فصل القضاء والقاعتان الاخريان فيهما كثير من صور الملوك والامراء ويوجد تجاه باب هذا المعبد باب آخر يوصل الى رحبة فيها أربعة أعمدة تحمل سقفها قد لعبت يد الحدثان بها وأغلب ألوان نقوش هذا المعبد باقية على ما كانت عليه من الرونق والبهجة ولكن كتابته ليست متقنة حق الاتقان كغيره من المعابد والسرايات ومن ذلك يستدل على

ضعف الامة فى ذلك الزمن وتنتهى أعمدة هذه البربى من أعلى بشكل يشبه رؤس البشنين وجميع نقوشه نحت فى الاحجار

ثم سرنا بعد ذلك نريد بربى وسراى رمسيس الثالث فلما أدركناها واذا ببلب عظيم الى الجهة الجنوبية منقوش عليه نقوش تدل على أن هذا الملك حارب الليبيين ومن تجمع معهم من بلاد الشام وجزائر البحر الابيض وانتصر عليهم حيث يرى عليه من جهة الداخل صورة رمسيس يضرب أعداءه الجاثين على ركبهم بدبوس ومعبوده يقدم اليه آلة الحرب ويقول له قد اتجهت جهة الشمال وأرغب أن تكون بلاد كنعان فى قبضتك وتحت تصرفك وان أهالى تلك الجهة تأتيك بفضتها وذهبها وأوجه وجهى الى الشرق وأريد أن العرب تهدى اليك الاخشاب الثمينة والافاويه (البهارات) وانظر الى جهة الغرب وأريد أن بلاد تهنو ترف اليك عرائس أبكار مدائحها

ثم سرنا نحو عشرين مترا فوجدنا بابا مقابلا للاول على يمين الداخل منه ويساره صورة لرمسيس من الحجر الازرق (وموضع كانت به مانعة الصواعق) وهذا الباب على مقدار عظيم من الكبر والارتفاع ولما دخلناه رأينا ساحته عظيمة جدا فيها تمثال لرمسيس متكئ على أحد الاكتاف ولم نر أحسن من هذه الساحة وما اشتملت عليه من عجائب النقوش والتماثيل ثم سرنا الى ساحة ثانية داخل الساحة الاولى ونظرنا الى جهة الباب من الداخل فرأينا صورتى الالهين أمون وموت وعلى الجهة الثانية للباب صورة رمسيس يقدم لهما الاسرى على ثلاثة صفوف كل صف من مملكة وكلهم من سواحل البحر الابيض وجزائره تعصبوا مع أهل آسيا على محاربة مصر وقهرها فقاومهم رمسيس الثالث وانتصر عليهم برا وبحرا وهذه الساحة الثانية من أبدع المبانى المصرية حيث ترى فيها دهاليز لطيفة الوضع من الجهات الاربع يتقدم الشمالى والجنوبى منها أعمدة ضخام مزدانة بجميل الصور وعظيم التماثيل

والدهليزان الشرقى والغربى سقوفهما على أكتاف تستند عليهما صورة الملك ويرى بوسط هذه الساحة كثير من العمد بعضها ملقى على الارض وبعضها مكسر على أغلبها اسم الملك رمسيس الثالث وكثير من النقوش وأنواع الزخرفه

ويلوح أن الاقباط استعملت هـذه الساحة كنيسة عند ما استوطنت مدينة هبو ونقوش هـذه الساحة ودهاليزها لاتكاد تحصر فنها على يسار الداخل صورة واقعة بين رمسيس وأهل آسيا وأنه بينهم بمركبته ينال منهم ولا ينالون منه ومنها على يمينه صورة قواده ورؤساء جيوشه يعرضون عليه الاسرى ويظهر من النقوش أن الاحياء من الاسارى ألف والاموات ثلاثة آلاف وبقرب ذلك بعض نقوش تتعلق بتلك الواقعـة ولكنها محيت بحيث لاتمكن قراءتها ويرى الملك فى لوحة غير هـذه داخلا مصر وأمامه الاسرى مكبلة بالقيود وفى أخرى صورتهـم وهو يقدمهم الى المعبودين كل هذه الرسوم فى الجزء الاسفل من الحائط الشمالى والشرقى والجنوبى وأما فى أعلاها فيرى رمسيس خارجا من سرايه فى موكب حافل حيث يحمله اثنا عشر رجلا من عظماء رجال دولتـه وخلفه تسعة من كبار قرابته يمشون صـفين ومن جهة الامام والخلف جم غفير من الضباط والعساكر أمامهم دست الموسيقى يشنفون الاسماع بالحانهم وعلى رأسه تاج مصر السفلى عليه ريش النعام وبحذائه صورة أبى الهول من الذهب دليل على كمال العقل والتبصر وصورة أسد من ذهب كذلك دليل على الشجاعة والاقدام ويسير هكذا حتى يدخل على المعبود فيحمله تسعة عشر من رؤساء الكهنة ويطوفون به وفى هذه الحالة تظهر زوجته بصورة متفرجة ثم تدعو الكهنة للملك بكثير من الدعوات وبعد ذلك يخرج رئيس الكهنة أربعة من الطير يزعمون أنها أولاد أوزريس وأنها حافظة للنقط الاربع الاصلية فيرسلها لتنشر فى أربع جهات الدنيا أن رمسيس الثالث تقلد تاج مصر السـفلى والعليا وفى هذه الحالة يرى الملك كانه يحصـد جرزة من القمح ويقدمها الى المعبود اظهارا لقيامه بما يجب عليه من الزرع الذى هو السبب الوحيد فى ثروة بلاده ثم تتلو الكهنة صـلوات طويلة وبعـد ذلك ينصرف الملك بموكبه الى مقره ويرى فى الحائط الشمالى أيضا عدة ألواح كلها دالة على ما كان له من الشجاعة والقوة ففى بعض الجهات يرى فى معمعة القتال وفى بعضها يرى منظما لجيشـه خطيبا فيما بينهم وفى بعضها كانه يقدم الاسرى للآلهة

ويعد الاموات منهم أمام المعبود وتارة كانه يقاتل أسدا وقتله الى غير ذلك من الاحوال وأما ماهو مرسوم على الجدار الجنوبى فكله عبارة عن عاداتهم فى المواسم والاعياد التى كانت بينهم فى تلك الازمان وهى تشبه من بعض الوجوه عاداتنا فى هذه الازمان ولعلها بقيت بطريق الوراثة ولكن مغايرة الاديان وكرور الازمان غيرت منها الجزء المهم ولم يبق الا بعض المناسبات الضعيفة ثم دخلنا قاعة فوجدنا فيها الآلهة تصب على رأس رمسيس ماء التطهير وتعطيه رمز القوة والحياة وهو يقدم لهم القربان من الازهار وأكمام البشنين وغيرها ثم خرجنا منها وصعدنا على سلم تبلغ درجاته ١٢٢ وهو بين حائطين مزدحين بانواع الصور والنقوش التى أعظمها تمثال الثور الابيض المعبود عندهم وهو صورة بارزة عظيمة وترى عظماء الدولة متزينين بما يشعر بوظائفهم وبعد ذلك خرجنا من تلك السراى قاصدين الباخرة فسرنا بين أحجار متفرقة وصخور متشتة بين المزارع حتى مررنا على تمثالين لامنحتب الثالث من ملوك العائلة الثامنة عشرة وهما على هيئة ملكين جالسين على تختيهما وسط المزارع وجههما الى الشرق متقاربين وعلى ساق أحدهما تمثال صغير واصل الى ركبته

قال بعض المؤرخين أن هذين التمثالين كانا على باب هيكل درس ولم يبق منه الا أحجار بالية متفرقة فى المزارع

وارتفاع التمثال مع ماهو جالس عليه نحو ١٩,٦٠ م وطول ساقه ٦ م وطول القدم ٣,٢٠ م وطول الاصبع الوسطى ١,٣٨ م وهاتان الصورتان فى غاية النضرة ويقال انهما كانا يعبدان بسبب أن أحدهما كان عند الصباح يسمع منه صوت وسببه أن جوف الصورة خال وكان الظل يدخل فيه ليلا حتى اذا ارتفعت الشمس خرج الظل من الداخل فيسمع لخروجه صوت فكان يظن عموم المصريين أن هذا صوت الاله حتى جاءت الرومان فخطأت ذلك وسدت مابه من الثقوب بما استعمل فى اصلاحه فلم يسمع بعدها الصوت فتركت عبادتهما

ثم توجهنا الى الباخرة واسترحنا فيها حتى صار ظل الشئ مثليه ثم دعانا حضرة احمد افندى عياد لرؤية ملاعب الخيول ومسابقتها فجلسنا هنالك فى حديقة وأمامنا الخيول يسابق بها مهرة الفرسان وكان حضرته ممن أتقن المسابقة وكانت الخيول فى غاية اللطف ولم نزل كذلك حتى غربت الشمس وتوجهنا الى الباخرة وبتنا بها تلك الليلة

(وصف عام لمدينة طيبه) ثم ان مدينة طيوة أوطيبة (بالطاء أوبالتاء) أوطيب واقعة بالصعيد الاعلى على جانبى النيل تملأ مبانيها مابين الجبلين تبعد عن اصوان بنحو ١٨٠٠ غلوة وعن البحر الاحمر بنحو ٦١٣٠ غلوة وعن عين شمس بنحو ٤٨٦٠ غلوة ويشغل أراضيها الآن بلاد الاقصر والكرنك والقرنه وهبو وكانت تبلغ مساحتها ١٧,٢٦٠,٠٠٠م فهى اذن أكبر من ضعف مساحة مصر الحالية والآثار التى هنالك تدل على أن الاهالى كانوا يبنون مساكنهم باللبن الذى لم يحرق وبالاحجار المأخوذة مما جاورها من الجبلين وكانت بيوتهم مركبة من خمس طبقات فاقل وقد كان وضع منازلهم داخل المدينة شبيها بوضع منازلنا الآن بمعنى أن حاراتهم ليست واسعة لشدة الحرارة هنالك كما عليه أغلب البلاد الشرقية اللهم الاماوضع التجارة والمواسم فانها أوسع من غيرها وتلك الآثار تدلنا على أن مبانى الامراء والملوك كانت متميزة بالضخامة والمتانة والزخرفة والتماثيل الهائلة والعجائب البديعة وكانت منفردة كأنهم يشيرون بانفرادها فى المكان الى انفرادهم فى المكانة ويستفاد من النقوش والآثار كثرة عدد رجالها الحربية وقد غالى بعض المؤرخين فى ذلك فقال كان بها ألف ألف مقاتل وهو كلام يلوح على وجهه الخرف كقول بعضهم انه كان يسكنها نحو ٧ ملايين من الانفس والظاهر أن هذا المؤرخ اشتبه عليه اسم القطر باسم المدينة (وكان القطر اذ ذاك يسمى باسم طيبة) كما أن لفظة مصر الآن تطلق على العاصمة وعلى القطر وهذا توجيه أقرب الى الصواب والمؤرخون مع كثرة عنايتهم بها وكتابتهم عليها لم يذكروا تاريخ مبدئها غير أنه نقل عن هيرودوت أن بناءها كان قبل الهجرة باكثر من اثنى عشر ألف سنة

ونقل عن أفلاطون الذى كان تلميذا لكهنة مصر أن المصريين كانوا يعلمون فن النقش والرسم قبل الهجرة باكثر من عشرة آلاف سنة والذى لم يخالف فيه أحد أنها كانت عاصمة للعائلتين الحادية عشرة والثانية عشرة قبل الهجرة بثلاثة آلاف وخمسمائة سنة وكانت قصبة وادى النيل فى عهد العائلة الثالثة عشرة وقال بعضهم انها كانت قصبة لمصر والنوبة والحبشة والآثار التى خلف الشلال تدل على ذلك ويدل على هذا دلالة واضحة أن السياحين الذين زاروا بلاد الحبشة لم ينسبوا لها تمدنا من نفسها بل أسندوه الى مصر وهو ظاهر اذ وصول مصر الى هذه الدرجة الرفيعة يقضى بانه كانت لها علاقات تامة مع مجاوريها وأنها صاحبة الغلبة والنفوذ ولقد كانت تلك المدينة الطائرة الصيت محلا لورود التجارة من أواسط أفريقية وبلاد الهند وكان يجمع فيها مايحصل من الغلال والخراج ويصرف منها الى الجهات الاخرى كبلاد كنعان وبعضه يقدم للقربان ويفيد صحة هذا وضعها الجغرافى لانها بين البحر الابيض والاحمر الموصل للهندى ونهر النيل عظيم قابل لان تجرى فيه السفن وكان طريقا للتجارة التى كانت تأتى لتلك المدينة الشهيرة فى تلك الازمان فكانت أشبه شئ بمدينة الاسكندرية أيام شهرتها غير أن طيبة كانت أضخم منها وأروج لان الفراعنة كانت مهدت لها الطرق البرية والبحرية لاسيما فى عصر (سيزوستريس) فانه ملك الاراضى للاهلين وقسم عليهم مياه النيل بحفر الترع والجداول لاجل الرى من جهة ونقل البضائع من جهة أخرى وبلغت مصر فى زمنه مبلغا عظيما حتى قال بعضهم ان فتح بلاد الهند كان على يد هذا الرجل وكان همه فى الملاحة والتجارة والفتوحات وكانت طيبة اذ ذاك تجر أذيال التيه على جميع بلدان العالم بحيث كانت تستحق أن تسمى مدينة الدنيا فكانت من حيث الزخرفة تشبه باريس الآن ومن حيث التجارة والصناعة كلندن وتنفرد طيوه هذه بانها كانت مركز ديانة ذلك الزمن وكعبة يؤمها الناس من أقاصى البلاد فى مواسمهم وأعيادهم ووصلت بها الكهنة الى درجة سامية فزخرفوا المعابد وكانت لهم كلمة مسموعة من العامة والخاصة وأخذوا

يمدون جناح نفوذهـم على بلاد كثيرة وطارت شهرتهم فى العالم الانسانى فلا مانع من أن نشبهها أيضا بمدينة رومة عاصمة ايطاليا من حيث كونها مركز ديانة السيد المسيح على نبينا وعليـه السـلام والانسان اذا تصورها بهـذه الدرجـة التى ربما شـك فى صحتها يقع فى نفسه أنها لاتعدى من صحيفة الوجود ولا تصير عبارة عن واد مغطى بالصخور الاثرية ولكن اذا حكم العادة ونظر فى عوامل الضعف لايداخله ريب فى شأن سـقوطها فان توالى اغارات الامم عليها مرارا كما أفاد ذلك التاريخ جعلها تنحط عن درجتها شـيأ فشـيأ وتأخذ طريق التأخر بعد أن كانت آخذة فى طريق التقـــدم

ومن ضمن ذلك ظهور مدينة منف لانها شاركتها فى الشهرة ومتى انقسمت الرفعـة ضاعت أبهتها ومع هذا لم تنقصها منف نقصا محسوسا

ولا ننس مانقله التاريخ عن الفرس فانهـم شـنوا الغارة على مصر واسـتولوا عليها وأهـانوا مدينة منف فخربوا معابدها ونهبوا حليها وصـيروها عطلا وأذلوا الكهنة والملك وفعلوا هذه الافعال القبيحة سـنة ١١٧٩ قبل الهجرة وليتها تركت بعد ذلك بل عبث بها بختنصر وأهان أهلها وأرسل الكثير منهم الى بابل حيث بلاده وملكه ثم اشتعلت بعد ذلك نيران الفتن الداخلية خصوصا بعد استيلاء البطالسة فقد أباح بطليموس لاطير نهبها بعـد أن حاصرهـا نحو سنتين عقابا لها على جريمتها سنة ٧٠٤ قبـل الهجرة وقد دهمتها قياصرة الرومان وأدخلوا الديانة المسيحية فأخرت الديانة القديمة تأخيرا بينا وأتلفوا غالب المبانى ومع هـذه الاهوال الشـديدة كانت طيبة مدينة شهيرة ذات قوة وتجارة رابحة وفى سنة ٣٨٩ بعد المسيح أيام القيصر طيودوس تخرب ماأبقته الايام من معابدها وكان سبب ذلك الغاء الديانة القديمة تماما وكذلك المعابد والتماثيل التى كانت بمصر عموما وكان ذلك سببا فى ترك الكتابة البربائية التى كانت معلومة فى ذلك الزمن فدخلت تحت حجاب الخفاء وقد خربها أيام أغسـطس رجـل يقـال له غاليلوس بامر الملك بحجـة أنهـا أى طيبه مركز الفتنـة والفساد

ومن هذا الحين انقسمت الى كفور صغيرة تسكنها شرذمة قليلة من الفلاحين الى يومنا هذا فانظر أيها الناقد بالفكر الثاقب والرأى الصائب هل تبقى هذه المدينة غالبة على أمرها مع هذه المؤثرات التى لاتبقى معها الجبال الرواسخ أظن أن بقاءها أبعد من البعيد ومقاومتها لتلك الحوادث المتراكمة تجعلنا نصدق بما قيل فى شأنها مما نقلته التواريخ المتواترة على علو مكانتها وانفرادها بالشرف والمنعة فانه من المستحيل أن مدينة منحطة تبقى هذه الدهور واقفة أمام الحوادث بل لابد أن تكون مدينة يسير بحديثها الركبان فى كافة بقاع المعمورة كما يستدل من الآثار الهائلة التى لانقول أفناها الزمان وانما نقول هى التى أفنته كانها هى التى تمر عليه

(مقارنة عماراتها بغيرها من الاقطار)

ولو تفحصنا التواريخ القديمة لوجدناها مشحونة بالكلام على المبانى المصرية خصوصا عمارات طيبة وأما العمارات الاجنبية كعمارات الروم فانك تجدها تأخذ القليل من الصحائف ولا يذكر فيها لفظ غرابة ولا كلمة تعجب فمثلا عمارة الرومان أيام بلوغ أثينا غاية حضارتها وشهرتها كانت أقل بكثير من مبانى الكرنك فكان عندهم معبد بنسى يشار اليه باطراف البنان ولم يكن شيئا يذكر فى جانب ماشيده المصريون فى طيبة وفى مدة دخول الرومان فى أثينا بنى فيها معبد كان مشهورا بالفخامة والزخرفة والمتانة ومع هذا درست آثاره الآن وصار نسيا منسيا وأما المقارنة بين طيبة وتدمر وبعلبك فان المؤرخين خصوصا السياحين قبل الاستكشافات كانوا يزعمون أن المبانى التى بتدمر أجمل وأرقى من طيبة اذ من مبانى تدمر معبد الشمس وكان داخل سور طوله ٤٦ م وعرضه ٢١ م وبه ٦٤ عمودا قطر الواحد منها ١٫٤ م وارتفاعه ١٢ مترا وكان العجب كله ليس من المبانى العظيمة بل من الزخرفة فى جميع أنحائها مع مراعاة نسب الاوضاع فانها غاية فى الاتقان وأما بعد الاستكشافات الحديثة وفك الرموز الهيروجليفية فلم يبق لذلك الزعم أثر اذ ظهر أن عمارة طيبة تفوق تلك من حيث كبر الامتدادات وضخامة المبانى وارتفاعها فسراى الكرنك وحدها تفوق ذلك المعبد بكثير من حيث الكبر وكثرة الصور الضخمة لاسيما صور أبى الهول

التى كانت تمتد على امتداد الطريق الخارجة من السراى الى بعد عظيم بحيث انها لاتنقص عن ١٦٠٠ صورة هائلة تحتاج الى همة عظيمة وعمد القصر التى بالكرنك تفوق ذينك العمودين اللذين بتدمر من حيث الكثرة والارتفاع فان العمودين المذكورين طول الواحد منهما ١٩ مترا بخلاف أعمدة الكرنك فان طول الواحد منها ٢٢ م ولم يكن بتدمر مسلات مع أنها من أنفس الآثار وأما الكرنك فكان به ثمانى مسلات كل واحدة منها قطعة واحدة وبقايا الكرنك وحده قدر بقايا تلك المدينة ومقابرها الشهيرة من حيث انها كانت أبراجا مربعة الشكل مركبة من خمس طبقات مبنية بالرخام الابيض اللطيف لاتساوى شيأ بالنسبة الى مقابر طيبة لان عمق أكبرها أى مقابر طيبة ١٢١ م بخلاف تلك اذ طولها لايزيد عن ١٥ م على أن مقابر المصريين أكثر نقشا من تلك وعلى كل حال فمبانى المصريين انفردت بالابهة والفخامة دون غيرها وعمارة بعلبك على مايرويه السياحون مثل عمارة تدمر وأكبر معبد بها طوله ٩٦ م وعرضه ٤٨ م وطول سوره ٢٩٩ م وعرضه ١٣٦ م ويدخل من باب شاهق الى رحبة منحنية الشكل ثم الى ساحة مستطيلة وجميع مبانيه قدر سراى الاقصر ولو قورنت مبانى رومة بتدمر لنقصت عنها على مالها من الشهرة الفائقة وجميع آثارها تماثل المعبد القبلى للكرنك فقط ثم ان كنيسة بطرس وهى عمارة جديدة قد صار طولها بما أضيف اليها من المبانى على ماقاله السياحون ٤٩٧ م وهذا الطول ينقص عن الطول بين أبى الهول الواقف أمام الباب الغربى لسراى الاقصر وبين القائم أمام الباب الشرقى وأما الاندلس ففيه قصر استورباله الذى طوله ٢٨٣ م وعرضه ٢٧١ م وهى مبان شاهقة تتصلها رحبات واسعة والمبانى التى فى باريس وان كانت عظيمة لكن لاتوجد نسبة بين ماوضع فى مبانى المصريين من المواد وبين ماوضع فى تلك على أن تلك المبانى سريعة التخرب لولا التحفظ عليها ولو قاومت أقل شئ من الحوادث لما ثبتت أمامه ثبات أبنية المصريين كماوضح مما تقدم والحق يقال ان مبانى المصريين لايوجد نظائرها

فى العالم من أوله الى آخره لا قديما ولا حديثا من حيث المتانة والعظمة والدلالة على القوة الغريبة فسبحان مفنى هؤلاء الناس الذين اختصوا دون من سواهم بالقوة الجسدية والفكرية وعرفوا العلوم النافعة وأودعوها فى رموز وجيزة لنفع من بعدهم حتى صاروا مثالا لكل تقدم ونجاح

(اليوم الحادى عشر) ولما أتت الساعة الخامسة من صبيحة يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شعبان سنة ١٣٠٩ تحركت السفينة قاصدة ادفو فلما بلغت الساعة ثمانية ونصفا رست على ارمنت وهى بلدة على الشاطئ الغربي للنيل بها كثير من الاشجار والبساتين (ارمنت) وابورات الماء وبها ثلاثة مساجد بمنارات ومحكمة شرعية وفابريقة للسكر ومعامل للزجاج

وقد اشتهرت بالكلاب الجيدة الحراسة ولذلك ترى أهلها يعتنون بتربية الكلاب واذا ولدت أنثاها عند أحدهم يخفى أولادها من الناس مخافة أن تتجه أطماعهم فيأخذوها وهم يهادون بها الاصدقاء والحكام ومن كانت له عندهم سابقة مودة وربما أخذوا عليها ثمنا عظيما

ولقد احتفل بنا حضرة قاضى المحكمة الشرعية هنالك الشيخ حسين المرصفى وتناولنا عنده القهوة وأكرم وفادتنا ثم بارحناه بكل احترام ورأينا البلد وقضينا نحو ساعة فيه ولما عدنا الى الباخرة شرف حضرته لرد الزيارة فشكرناه على هذه العناية

ولقد توجه حضرة المستر دنلوب مع حضرة الشيخ محمد سلامه لاختبار تلامذة مدرستها وهى ليست من المدارس الاميرية ووضعها غير مناسب تعلم فيها اللغة الفرنساوية والانكليزية يعلمهما ناظرها وليست على مايرام من حيث التقدم ولذلك لم ينشرحا منها والاهالى يودون أن تضاف للمدارس الاميرية ولم يتم ذلك وهذه البلدة ينبغى أن توجه اليها العناية من حيث التعليم لانها مركز من المراكز العظيمة وعند أهليها شغف زائد بتعلم العلوم ولا يجدون من همة هذا الناظر مايحقق أمانيهم وتلك المدرسة بجنوب البلد ولنا الامل الوطيد فى تحقيق آمال هؤلاء الناس الذين عرفوا ثمرة العلوم

ولم يجدوا مايوصلهم الى أغراضهم لقلة المعلمين وعدم انتظام التعليم ولعل المستقبل فى هذه البلدة يتحسن

ثم انطلق بنا الوابور فى الساعة العاشرة صباحا ولم يزل مسرعا ونحن نسرح الطرف فى مناظر الشاطئين وفى خلال ذلك كانت تشتد الريح تارة فكنا نسمع من تصفيق الامواج ورنات الرياح باعمدة السفينة صوت أعواد لعبت بها بنان القيان

والنهر مكسو غلالة فضة * فاذا جرى سيلا فثوب نضار

واذا استقام رأيت صفحة مرهف * واذا استدار رأيت عطف سوار

وبين الامواج والشواطئ هرج شديد وشقاق مديد والنبات يرمقهما بعيونه ويودأن لوكان عنده فصل الخطاب حتى انه ليتمايل كانه واجد ويضرع وهو راكع وساجد والريح لاترعوى والسفينة لاتلتوى والمناظر تارة منتظمة وأخرى غير منسجمة والجبلان حينا يقتربان وطورا يفترقان كانهما يريان تقلب الزمان وعوادى الحدثان وحينما جاءت الساعة الثانية بعد الظهر مررنا على اسنا وهى واقعة على الضفة الغربية للنيل وقد زحف عليها ولا بد أن تتقهقر عن مكانها لان المياه تغير على الشاطئ هنالك بقوة عظيمة وجل التيار منحاز جهتها وغالب مبانيها باللبن وأعجب شئ يسر الناظر رؤية ابراج الحمام هنالك فترى أعالى البيوت محلاة بها كل برج عليه شرافات مرتفعة حسنة النسق ويرى الانسان حجارة البربى التى هنالك ملقاة على الشاطئ وبعض من مبانيها كذلك وان كان الجزء المهم منها داخل البلد وعند العودة ان شاء الله نشبع الكلام عليها وعلى البلد وأرضها زراعية ولم تزل السفينة يحثها سائق البخار مارة بجبال شامخة ونباتات مزدوجة ومناظر بهجة حتى لبس الافق ثوب الاصيل وعانق الشمس وأحال بين النظر وبين ماعلى الشاطئ الى أن رست بعزبة المصرى ليلا وكان المبيت بها وهى قرية صغيرة جدا ليس بها مايستحق الذكر

(اليوم الثانى عشر وبلدة ادفو) وفى صبيحة يوم الاربعاء الرابع والعشرين من شعبان سنة ١٣٠٩ قام الوابور من عزبة المصرى وفى منتصف الساعة الثامنة صباحا رسا على بلدة ادفو وهى بلدة

قديمة واقعة على الضفة الغربية للنيل تبعد عنه بنحو ربع ساعة وهى احدى مراكز مديرية الحدود واقعة بين اسنا واسوان ولها سوق عظيمة تعقد يوم الاربعاء واقعة فى الشمال الغربى منها ويباع فيها أغلب ماياع فى الاسواق العظيمة فتباع فيها الحمر والنعم والاقمشة والعطارات والفواكه والملآت التى تصنع غالبا ببلدة اخميم بالوجه القبلى وهى متقنة الصنعة وذلك البلد مورد السياحين لرؤية هيكله الشهير وأراضيه زراعية لطيفة غير أن المياه تجف عنها فى كثير من السنة ويغلب على أهله السكون وبه محكمة شرعية وشرطة ومكتب للبريد ومساجد وأنوال وطواحين ومعمل دجاج وصناع فخار ويظهر ان هذه البلدة لم تكن خصبة من قبل لما هو باق فى بعض نواحيها من آثار الحلفة والنخيل وكانت قديما من البلاد المعتبرة كما يدل عليه سعة أطلالها وكثرة آثارها وكانت تسمى قديما عند المصريين (اطبو) وعند اليونان (أبو لينو بوليس لمانيا) ومعناها مدينة أبوليس الكبيرة وبها هيكل من (هيكل ادفو) أعظم الهياكل المصرية وهو موضوع فى الشمال الغربى من تلك البلدة واعتنى بتطهيره من نحو عشرين سنة وقد بنى أيام البطالسة ابتدئ فيه زمن بطليموس الرحيم الذى كان يسمى (تلمى فيلاماطور) أى محب أبيه لقب بذلك تهكما لانه قتل أباه وتم زمن بطليموس الخمار واستمر تجديده ١٨٠ أو ١٩٠ سنه وكان وضع أساسه قديما وانما جدده البطالسة اذ من المحقق أن لطوطمس الثالث مبانى فيه وبنى على شكل بناء هيكل دندره ويبلغ طوله ١٣٨ م وعرضه ٦٩ م أى أن الطول ضعف العرض وأعظم ارتفاع فيه ٣٥ م وهو مرتفع عن البلد يشاهد من نحو فرسخين ولذا يسمى عند أهالى البلد بالقلعة وبابه للجنوب مرتفع بقدر ١١١ قدما انكليزية مزين هو وظاهر الهيكل بصور مختلفة منها صورة الاله هورس الذى بنى له هذا المعبد وأول مايرى بعد باب المعبد ساحة مكشوفة واسعة فى جنوبها ٣٢ عمودا على يمين الداخل ويساره وفيها على يمين الداخل فى صف الباب باب يوصل الى سلم يصعد منه الى أعلى البرج يتكون من ٢٤٦ درجة وتجاه بابها باب آخر يوصل الى

رحبة بها ثمانية عشر عمودا وفيها غرفتان احداهما على اليمين والاخرى على اليسار أعدت احداهما لوضع الكتب المقدسة والثانية لغسل أيدى القسيس وتسمى رحبة جهنم لما أن القسوس كانت تزيل بها الاوساخ ولعل المراد بها المعنوية أى الذنوب حتى تتجه هذه التسمية وعلى أعمدتها وحيطانها نقوش كثيرة وكتابات واضحة لم يصبها من البلى شئ وسقفها جيد ويتوصل من هذه الرحبة الى رحبة ثالثة بها ١٢ عمودا وكانت محـل المداولة ولذا يطلق عليها اسم الايوان وعلى يسار الداخل فيها صورة الالهة ابسس تتكلم مع الملك كيلوبتره السادس ويظهر أنها معرضـة عنـه ويده اليسرى فى يدها اليمنى وبجوارها الاله هوريس وجهه وجه صـقر ويشـتمل هـذا الايوان على غرفتين احداهما كانت محل الخمر وهى جهة اليمين والتى جهة اليسار كانت أجزاخانه ووراء ذلك رحبة رابعة خصصت لاله النور ويسمى ابسس وفيها أيضا غرفتان احداهما على يسار الداخل وكانت محلا لوضـع الجواهر الثمينة والاشـياء العزيزة الوجود والاخرى على اليمين وكانت معدة لتقديم الطعام وهنالك رحبة خامسة كانت معدة لتقديم الاشـياء التى تقربهم من الصـقر المقـدس وبها أيضا غرفتان احداهما كانت معدة لاله الحصاد والاخرى لتقـديم القربان فى أول يوم من السـنة فرحا بتقدوم العـام وفى هـذه الرحبة بابان من الجنوب يدخل الانسان من احدهما فيشاهد غرفا كثيرة متجاورة فمنها غرفة مخصوصة بالصلاة (لموت) التى يزعمون أنهـا ام البشر وأخرى مخصوصة بصلاتهم (لامون رع) ويرى هنالك الملك يقبل الآلهة وغرفة لعبادة (هـاتور) ثم محل خاص بالدعاء لاجل النصر عنـد الحروب يستغيثون فيه ويبتهلون الى الاله حتى يحصـل لهم الظفر على أعـدائهم بحيث كانوا يعتقدون أنه لايستجاب منهم ولا ينتصرون على أعدائهم الا بالدعاء فى هذا المكان

وهنالك غرفة معدة لموت الاله وصورته هنالك تفزع الانسان وهو ينازع الحياة وغرفة أخرى محل وضعه ليعرض على الناس

ثم دخلنا غرفة هى محل ولادة الاله ثم غرفة توضع فيها العطريات والروائح الذكيـة لاجل أن توضع على الاله بعد ولادته ثم غرفة أخرى معدة لتربيتـه وأخرى لتقميطه

بالملابس بعد وضعه الى غير ذلك من هذه الامور التى يضحك منها العاقل ان كانوا يعتقدون كما أنبأنا به التاريخ ولعل الزمان هو الذى غير وبدل ولا غرابة فهو أبو العجائب وفى ظنى أن ناسا يرعوا فى العلوم الى هذا الحد لايخرفون هذا الخرف اللهم الا أن يكون هذا هو اعتقاد العامة منهم وداخل هذه الرحبة رحبة سادسة توصل الى المحراب المقدس وهو عبارة عن قطعة واحدة من حجر الجرانيت الازرق موضوعة فى جانب الحائط الاخير وكان يوضع فيه الصقر المقدس معبود ادفو

وأبواب الرحبات الست المتقدمة متقابلة فى اتجاه واحد بحيث ان من كان بالباب الاول يرى من بداخل الرحبة السادسة وهذا المحل باجمعه محاط من ثلاث جهات الشمال والشرق والغرب بطريق ضيق يمر بينه وبين الحائط العمومى لايزيد اتساعه عن مترين من بعض جهاته وعلى الحائطين رسوم شتى فنها صورة الملك (تلمى فيلوبترا) يقابل أعدائه وآلهة أخرى كثيرة وهنالك صورة شبكة فيها أنواع الاشياء من الصيد وغيره وصور سفن كثيرة وكلها غاية فى الحسن وشبكة أخرى بين أيدى اناس من الملوك وفيها جميع الاشياء وهم يسلمونها الى الاله (هورس) كانهم يقولون ان جميع الاشياء لك لاشئ لنا فيها ومن أعجب مافى ذلك الحائط صورة هورس وهو يحارب جاموسة البحر التى يزعمون أنها اله الشر لكونها كانت تضر بمزروعاتهم ثم مركب أخرى سابحة فى البحر وفيها صورة الملك والهه هورس وهما يضربان اله الشر المذكور وهنالك كذلك صورة الاله هورس وهو محمول على سرير يرفعه ستة من الآلهة والملك والملكة يقدمان له البخور وهى الملكة كليوبتره احدى ملكات البطالسة ثم رأينا آلهة الشمال وآلهة الجنوب كل منهما يضع تاج جهته على رأس الملك ويباركان عليه ثم ملنا بعد ذلك للاستراحة فى الرحبة الكبرى على سرر هنالك معدة لذلك وتناولنا القهوة وبعد أن أخذت الاعضاء حقها من الاستراحة صعدنا على السلم المتقدم الذكر ورأينا منظر البلد والهيكل من هنالك وكنا نرى أسطحة البيوت مغطاة بحطب الذرة الصغيرة (العويجه) وهى بيضاء وكانت ترى البيوت منخفضة جدا

والسلم ليس مستقيما بل بصفة خط منكسر متجه على يمين الصاعد وبالاجمال هذا الهيكل من أفخر الهياكل المصرية وجميع رسومه غاية فى الحسن ثم توجهنا الى المدرسة الاميرية بعد زيارتنا الهيكل وهى موضوعة فى شمال البلد فى محل صحى لطيف وفى الجنوب الغربى من المدرسة محل المركز وهى مدرسة حديثة العهد لم يمض عليها الا سنتان ولها بابان شرقى وغربى وهما متقابلان ورحبتهما مفروشة بالآجر المأخوذ من الانقاض القديمة ولا تعلوها أدنى وساخة فى جميع محالها وتلامذتها على غاية من الذكاء والفطانة وبها نحو ٧٢ تلميذا منهم سبعة من الاقباط والباقى مسلمون وفيها سنة أولى وثانية وقد شرع الآن فى عمل محل لها غير المحل الذى هى فيه اذ ليس به بيوت خلاء ولا كثير من اللوازم التى لابد منها لكل مدرسة والمحل المذكور بجانبها من جهة الشمال منعزل تقريبا عن البلدة وباب المدرسة غربى وعلى يمين الداخل منه قاعة الاشياء وحيطانها الاربعة مغطاة بالخرط الحيوانية والمعدنية والنباتية والصناعية وغيرها بحيث ان قاعة بهذه الصفة قل أن توجد فى مدرسة شهيرة من مدارس العاصمة وفى داخلها طاولة عليها أغلب الاشياء اللازمة لتعليم الاطفال كقطع الورق الصغيرة المكتوب على كل واحدة منها حرف من حروف الهجاء بخط واضح يقرؤه الانسان من بعد عظيم وعلى اليسار قاعة الناظر وبعدها قاعتان فى أولاهما السنة الثانية وفى ثانيتهما السنة الاولى وبعد قاعة الاشياء المخزن ثم قاعة المعلمين ولقد دخلنا قاعتهم فوجدنا فيها الكتب النفيسة من غالب العلوم وبالاخص علم تهذيب الاخلاق والآداب العربية ولقد كانت ملابس التلامذة كلها بيضاء والبياض أحسن شئ يلبس هنالك لكثرة الحرارة بتلك الجهة ولقد اختبرهم جناب المستر دانلوب فى الانجليزى فسر كثيرا كما سر من همة حضرة محمود افندى حسنى الناظر بها ومن حسن ادارته واختبر حضرة الشيخ محمد سلامه التلامذة فى فروع التعليم العربى فوجدهم على درجة جيدة ولقد رأينا الاساتذة هنالك يبذلون مجهودهم فى تذليل صعاب المسائل وتقريب العبارات من أذهان الطلبة ثم عدنا من ادفو فى

الساعة الحادية عشرة فتوجهنا الى اسوان وكنا نرى جبل السلسلة ساقطا نحو الماء عموديا لا انحدار فيه وفى أغلب مواضعه يرى زاحفا على الشاطئين حتى انه لم يبق بين جهتيه غير النهر وللماء فى أسفله أثر عجيب لكثرة جريانه بجوانبه ودوام تلاطم الامواج به ويرى به كثير من المغارات فاغرة أفواهها نحو الماء كانها تطالبه بجزاء ماصنع بأصل الجبل ويقال ان أحد الفراعنة كان موصلا جهتيه بسلسلة كيلا تمر مركب من غير أن تدفع خراجا وهذا سبب تسميته جبل السلسلة وقيل سمى بذلك لان الجبال الغربية كادت أن تتصل بالشرقية فكانهما سلسلة واحدة ويقال انه كان متصلا بعضه ببعض فقطعه النيل وبهذا الجبل المحاجر العظيمة التى قطع منها غالب التماثيل الجسيمة واتخذ من جنادلها أكثر الهياكل فى الوجه القبلى وقد كان كثير من مغاراته مقابر ومعابد للقدماء ورست بنا الباخرة ليلة الخميس على بلدة دراو قريبا من اسوان وهى بلدة على الشاطئ الشرقى للنيل على بعد قليل منه وأكثر سكانها من عرب العبابيد ولما انقضى الليل توجهنا قاصدين اسوان فعند مالاحت أعلامها جدت الباخرة فى السير فرحا ببلوغ الارب الى أن وصلناها فأطلقت بخارها وقيدت مسيرها وألقت مرساها وقالت هذا آخر مضمارى ومنتهاه وعندها ركبنا الزوارق واجتزنا الى الشاطئ الغربى وصعدنا الجبل وهو ملاصق للنهر لرؤية الآثار التى اكتشفها السير غرانفيل سردار الجيش المصرى سنة ١٣٠٣ هجريه

(اليوم الثالث عشر)

(المغارات التى اكتشفها السير غرانفيل)

وهى جملة مغارات منحوتة فى وسط ارتفاع الجبل يصعد اليها فى نحو ربع ساعة أبواب جميعها للشرق من آثار وزراء العائلتين الخامسة والسادسة وعددها احدى وثلاثون مغارة تختلف صغرا وكبرا

وأعظمها قبران أحدهما قبر الوزير (ميكو) وهو فى الجنوب وفى داخله ثلاثة صفوف من الاعمدة المربعة الشكل التى هى من أصل الجبل نحتوا ماحولها وأبقوها على هيئة الاعمدة ويرى مثل هذه الاعمدة فى كثير من المغارات كما فى بنى حسن وغيرها ولكن الفضل لصناع هذه المقابر فان الجرانيت الاسوانى أشد صلابة من باقى الصخور

كما لايخفى وعددها ثمانية عشر كل صف منها ستة أعمدة ولا يوجد بهذا القبر الاقليل من النقوش وفيه على يمين الداخل رسم صورة ميكو وبه الى الآن كثير من الاوانى التى كان بها موميا (أجسام محنطة) ونقلت الى المتحف

الثانى قبر الوزير (سيرمبو) أعظم وزراء العائلة الثانيـــة عشرة وهو فى شمال القبر السابق ليس بينهما الا مقابر غير مهمة

وهو بيت على هيئة متوازى مستطيلات وفيه على يمين الداخل ويساره طيقان غير نافذة فيها تماثيل ليست تامة التصوير فلا يظهر الا الوجه وأما باقى الجسم فمدمج وفى منتصفه تقريبا رحبتان صغيرتان متقابلتان بكل واحدة عمودان وفى المنتهى تجاه الباب محراب وهو عبارة عن صخرتين متوازيتين فوقهما ثالثة والوجه الرابع الجبل والخامس مفتوح وفيه رسوم بألوان مختلفة زاهية جدا تخالها قد صنعت فى الحال والذى يظهر هو ذلك فانا لم نر شيأ من جميع ماشاهدناه من الآثار ويتوهمنا أنه صنع حديثا الانقش هذا المحراب وطالما دققنا البحث فى غيره وأمعنا النظر مخافة أن يكون من استكشفها أعاد نقشها أو جدد شيأ من طلائها فلم نشك فى قدمها ولم تحدثنا النفس بجدتها ولكن طلاء هذا المحراب كما نحميه فينمحى ويظهر لونه على نحو المنديل اذا حك به الى غير ذلك مما قوى عندنا الظن فى أنه صنع حديثا ولو كان كذلك لبئس ما كانوا يصنعون وفى هذا المحراب صورة الوزير وهو جالس على كرسى مظهر للابهة والعظمة وأما الصور التى بالطيقان فهى صور عائلته

ولقد رأينا فى عنق بعضها العقود الاسوانية المسماة عندهم باللبب ولايستعملها الآن الا أهل اسوان

ومنها يستنتج قدم أغلب العادات وانتقالها بالوراثة حتى ان مثل هـذه العقود التى ليست على جانب عظيم من حسـن الشكل وبهاء الزينة بقيت على ممر الايام حليا لهؤلاء الاقوام محافظة منهم على زى عرفوا به بين الامم وهذا الامر أى قدم العوائد حقيق بل والطباع والاخلاق كذلك كما تستلزمه نتيجة التربية ويوجبه الميل الجبلى

بحسب المنشأ فيخرج الفرع مضطرا لاتباع خطة أصله ناسجا على منواله وكيف لا وهو جزؤه (والشئ يرجع فى المذاق لاصله)

أجل ان تقادم العهد وسوء انتعهد قد يؤثر على ذلك فربما أفنى بعضه ولكن يبقى البعض الآخر فتمضى عليه القرون العديدة والاعوام المختلفة وهو ثابت لاتزعزعه عواصف التقلبات ولا تعبث به أيدى الحدثان وهذا اذا كان الفرع محافظا على شرف أصله شديد الحزم قوى العزم لايحسن الامر ولا يقبحه الا بفكرة صحيحة وباعث من نفسه قويم فلا تطوح به طوائح التقليد التى تقلده بربقة العبودية فيمسى أسير تصرفات المقلد رهين اشارته كما درج على ذلك كثير من الشرقيين وهى حالة تسود صفحات الوجوه وتدنس صحائف التاريخ أيحسن بنا أن يقودنا الهوى مثلا الى ترك الزى اللطيف وملبس آبائنا الفسيح مع أننا نعلم أنه هو الاجود لصحتنا والاوفق لحال بلادنا ونتبع الامم الغربية فى زيهم الذى اضطرهم اليه حال بلادهم ونتطفل عليهم فى أمر يضر بصحتنا ونهدم ماشيده أسلافنا من الشرف تلك والله هى الطامة الكبرى والضالة التى لاترد وتالله لوقادينا على ذلك لامسينا نحن وملابسنا بل وغيرها مما لدينا من المميزات أثرا يحفظ بالمتحف ضمن الانتيكات التى كلما رآها وسمع بحديث أهليها ولاى شئ تجذبنا عوامل التقليد ألضعف أسلافنا أنفنا من الانتساب اليهم أم لذلتهم وصغارهم شمخنا بانفنا عن سيرهم أم لتأخرهم فى الحضارة وتقهقرهم لا والله لقد رأينا من آثارهم مايبهر كل من تفكر ويعجز عن وصفه من فيه تدبر

فوشمس معارفهم وضحاها وقمر علومهم اذا تلاها ونهار عقولهم اذا جلاها لقد كنا ندخل المعبد فيأخذنا الاندهاش حتى نقول ان هذه ليست من صنعة الانسان ولا مخلفات قدماء المصريين وأسلافنا الاقدمين وكانى بقائل يقول مالك ولمن يتزيا بزى يراه حسنا ملائما لما تشتهيه نفسه ويلذه هواه دع كلا يسير على الناموس الذى يحسنه له فكره وما عليك ان كان يسوءه أو يسره فان من يخرج الى حد يضر بصحته أو يحط من قدره انما انتهك حرمة نفسه وجنى على مصلحة شخصه

على نفسى جنيت فمن يعانى * معاتبتى فذالك من الفضول

فاقول اليك ياهـذا ومهلا فليست مضار التقليد فى مثل الملابس قاصرة على اضاعة الشرف وفقدان الصحة وغيرذلك مما توهمت أنه خاص بالشخص المقلد بل وراء ذلك اجحاف ببنى الجنس وخراب لثروة الاهالى وانتزاف الاموال الى الخارج اذ كل من تزيا بالزى الاجنبى استغنى عن ملابس الوطن وتجارها وصناعها فتبخس أثمانها لقلة راغبيها وتكسد أسواقها لعدم مشتريها وينتهى أمرها بالاضمحلال وتؤول الى الزوال فيعود ذلك على الامة جميعها بالدمار والافتقار اذ ضعف الافراد وافتقار الاجزاء ضعف وافتقار للكل المركب منها فاذا داخلك الريب فسرح نظرك فى أسواق القاهرة وغيرها من المدن المصرية ترى الالوف المؤلفة من المصريين مزدحمة على أبواب الحوانيت الافرنجية يفنون درهمهم ودينارهم المستفادين لهم من الوطن فى شراء الصاكو والبنطلون ونحوهما مما يعود نفعه على الاجانب

والتاجر المصرى كاسد البضاعة جالس أمام حانوته يذود الذباب عن وجهه ويعض أطراف بنانه على سوء بخته عند بنى جنسه ينادى بالويل والثبور

* أضاعونى وأى فتى أضاعوا *

والخياط الذى يعد عضوا نافعا فى شبح الجمعية الوطنيـة أمسى وقد شلت أنامله من البطالة والصباغ والنساج وغيرهم أحوالهم لاتخفى على ذى بصيرة وياللعجب لم قلدنا الغربيين فى الملابس ولم نقتد بهم فى الاهتمام بالصنائع والتعاون على عقد الشركات لرواج التجارات كما كان فى زمن المغفور له محمد على باشا فنكون قد أحسنا صنعا وأجدنا عملا وحصلنا نفعا ولا نسمى مقلدين بل نكون قدسرنا على سنن أسلافنا القويم وطريقهم المستقيم

ولقد شط القلم عما كنا فيه فلنرجع اليه عسى أن يرجع بنو الوطن العزيز لما كان أسلافهم عليه

ثم بارحنا هـذا القبر وصعدنا الى قمة الجبل فرأينا قبة مبنية قديما بالآجر تسمى الآن لشدة ارتفاعها بالقبة الهوائية فيها بابان أحدهما شمالى والآخر جنوبى

يمر منهما الهواء النقى بغاية السرعة والقوة فهى اسم على مسمى ثم نزلنا وركبنا الزوارق وقصدنا جزيرة اسوان فكنا نمر فى النهر وهو متفرق الى جداول لما فيه من ربوات الاحجار الصخرية فلما وصلنا الجزيرة صعدناها من سلم المقياس الذى انشئ قديما وكان مجهولا فاستكشفه الفرنساويون أيام احتلالهم الديار المصرية وجدده المرحوم محمود باشا الفلكى زمن الخديوى الاسبق ولكنه أبقى التقسيم القديم ورسم فيه تقسيما جديدا جعل فيه الذراع ٠٫٥٤ م كما كان فى مقياس الروضة وأما القديم فالذراع فيه ٠٫٥٣ م والتحاريق فيه على ذراع واحد منه وغاية الزيادة ١٧ ذراعا فالزيادة الحقيقية فيه ١٦ ذراعا ومكتوب على حائطه الغربى هذه الابيات

حق على اسوان تبدى شكرها * لمليك مصر الداورى اسماعيل
أحيا بها المقياس بعد ذهابه * بتجدد التقسيم والتفصيل
من بعد ألف وهو فى غيب الثرى * أبدى معالمه بخير دليل
الماهر الفلكى محمود الذى * جلت معارفه عن التمثيل
أبقى التقاسيم التى وجدت به * وبغيرها حلاه للتعديل
قالت له اسوان فى تاريخها * أوفيت بالمقياس بحر النيل

(جزيرة اسوان) وهذه الجزيرة بالقرب من اسوان وبها كثير من النخيل ومزارعها فى غاية الخصوبة ومعتنى بشأنها حتى ان أغلب أراضيها عليه أسوار من اللبن وزمامها يبلغ خمسين فدانا وكانت مقرا لملوك العائلة السادسة التى كان ابتداؤها سنة ٤٩٧٤ قبل الهجرة ومدتها ٢٠٣ سنه

وكانت هذه الجزيرة محصنة بالاسوار وكان بها قوة حربية لرد هجمات النوبة وبها تمثال من الجرانيت الاسود لمنفتاح (فرعون الغريق) لايزيد ارتفاعه عن مترين وشواطئ هذه الجزيرة من الجرانيت الاسود والاحمر ومنظر النيل للواقف بها فى غاية الابداع والرونق فيرى لجين الماء يكاد يخطف الابصار لتلاعب الامواج وقد تخللته هضبات الجرانيت الاسود كبساط من الفضة علت عليه كثبان من المسك فيتكون من ذلك

منظر تلذه العين و يألفه الخاطر ثم بارحناها على الزوارق وقد قاربت الشمس الزوال وقصـدنا الباخرة فاسترحنا بها وتناولنا الغداء ثم ركبنا الحمر وتوجهنا للتفرج باسوان

وهى بلدة عامرة على الشاطئ الشرقى للنيل قريبة من الشلال الاول الذى اشتهربها ويكتنفها الجبـل من الجهتين الجنوبيـة والشرقية ومن الغرب النهر ومن الشمال سهل فسيح به كثير من النخيل

وأكثر أبنيتها من الآجر وليس بها الا قليل من الشـوارع المنتظمة وأغلب حاراتها ضـيق متعرج وفيها أسواق وخانات ووكائل ومكاتب وتجاراتها رائجة وكانت قبل قفل السودان أروج منها الآن وبها مساجد جامعـة بمنارات مرتفعة وقد أسس الصحابة رضوان الله تعالى عليهم محرابها فيما أسسوه من المحاريب كمحراب جامع قوص وجامع سـيدنا عمرو ومسجد الجيزه والاسكندرية وارتفاع اسوان عن أرض البحر الاحمر يبلغ مائة متروعشرة

وهى على درجة ٢٤ وبعض دقائق واشدة حرارتها وقربها من الجبل يوجد بها كثير من العقارب والافاعى ويسكنها الآن أخلاط من العرب والبربر والسودان المتمصرين ولذلك اختلفت فيها اللغات والالوان وأهلها فى غاية الذكاء والفطنـة وقد سكنها قديما أقوام من العرب من قحطان ونزر من ربيعة ومضر وخلق كثير من قريش وقد تقلب عليها كثير من نوب الزمان فخربت وبنيت مرارا عديدة فكانت فى زمن القدماء من ملوك المصريين مدينة عظيمة ثم خربت وتجددت فى زمن الرومانيين ثم خربت وتجدّدت بعد ذلك ويقال ان الموجودة الآن بنيت من عهد السلطان سليم الفاتح وكانت فى صـدر الاسلام فى أواخر بلاد المسلمين وكانت النوبة كفارا وكان لاهل اسوان أراض فى بلاد النوبة اشتروها منهم أيام الامويين والعباسـيين وكانوا يدفعون خراجها الى ملك النوبة الا أنه كان يحصـل منهم فى بعض الاحيـان تعد وتوقف فى تأديته فلما جاء الخليفة المأمون شكا اليه ملك النوبة وادعى أن البائعين لتلك الارض أرقاء لاملك لهم فأحال المأمون النظر فى ذلك على قاضى اسوان بحضور

نائب الملك فأثبت صحة البيع لان أهل اسوان حملوا البائعين على عدم الاقرار بالرق فحقد عليهم ملك النوبة حتى بطش بهم وطالما تكرر التعدى من النوبة على اسوان فكانوا ينتهزون الفرصة ويأتون فينهبون أموالها ويسبون نساءها وأطفالها فحين يصل الخبر الى ملك مصر يرسل اليهم من ينتقم منهم ويطردهم ثم يعودون بعد حين كما وقع سنة ٣٤٤ وسنة ٣٥١ وسنة ٥٦٨ هـ وفى مدة السلطان صلاح الدين حضر الى مصر ابن أخى ملك النوبة مستجيرا من ظلم عمه فجهز معه جيشا ودخلوا بلاد النوبة وانتصروا عليها وأسروا ملكها وكثيرا من أمرائها وجعلوا ابن أخيه المذكور ملكا وفرضوا عليه الخراج وألحقوا بمصر نحو ربع بلاد النوبة مما يلى اسوان وعاد الجند الى مصر بنحو عشرة آلاف من الاسرى وبقى فى دنقله مأمورون لجمع الخراج ثم كانت الاعراب وأهل وادى الكنوز يغيرون على اسوان وبعد أن ملك مصر السلطان سليم كان كل من عصى من الامراء يرتحل الى الصعيد بمماليكه ورجاله وينضم اليه غيرهم ويقاتل بهم فلم تزل الاقاليم القبلية والبلاد النوبية ميدانا للحروب والفتن الى أن مهد العمران وبث الامان فى أنحاء القطر الهمام الاكبر أفندينا المرحوم محمد على باشا فقطع دابر الثائرين وأرباب الفتن ودخلت جميع بلاد النوبة تحت حكم مصر وأمنت أهل اسوان مما كان يعتريهم من المهلكات وبقرب المدينة الحالية أطلال المدينة القديمة وعند اسوان محاجر عظيمة يبلغ طولها نحو ستة آلاف متر كان يأخذ منها قدماء المصريين لعماراتهم الاعمدة والمسلات والاحجار الهائلة وفى بعض محاجرها مسلة عظيمة كان الاوائل ابتدؤا فى قطعها الى أن قاربت التمام ثم تركوها فبقيت متصلة من جهة واحدة وباقى جهاتها منفصل وفى الشرق من اسوان قبور كثيرة تزار الآن منسوبة لجماعة من الشهداء والصالحين ونشأ باسوان جماعة من كبار الرجال وأفاضل العلماء منهم ابراهيم بن محمد الملقب بفخر الدولة وكان شاعرا كاتبا كتب الانشاء للسلطان صلاح الدين وأخيه العادل توفى سنة ٥٨١ هـ ومنهم الحسن ابن على المهذب الشاعر المفسر له تفسير فى خمسين مجلدا ويقال انه لم يكن فى زمنه

أشعر منه توفى سنة ٥٦١ ﻫ ومنهم أبو رجاء محمد بن أحمد الاسوانى الشافعى الفقيه الشاعر نظم قصص الانبياء وكتاب المزنى والطب والفلسفة فى ألف ومائة وثلاثين بيتا وتوفى سنة ٣٣٥ ﻫ وغيرهم

ويتبع اسوان ثلاث بلاد صغيرة وهى أبو الريش وعزب اسوان وجزيرة إلفنتين فأما الجزيرة فقد سبق الكلام عليها وأما أبو الريش فهى فى شمال اسوان متصلة بها مشتملة على جملة نجوع وبجوارها يوجد الطين الطفلى المعروف بالاسوانى المستعمل فى بناء الوابورات

وأما عزب اسوان فهى الغرب تجاه أبى الريش تنتهى من الجنوب الى الجبل المرتفع الذى على قمته قبة الهواء وفيه الآثار التى ذكرناها وليس باسوان وماحولها الاقليل من الاراضى الزراعيـة فلذلك ترى أهلها مابين تاجر وصانع وملاح ومما يدل على كثرة الملاحين بها أننا كنا نركب الزورق الصغير فيكون به من الملاحين نحو الخمسة عشر وكنا نخاف الغرق لما كان يحصل منهم من المشاجرات عند تسابقهم بالسفن ويصنع بها من طينة تؤخذ من شمال البلدة أنواع من الفخار لطيفة الصنعة حمراء وسوداء كالحلل والصحون المغطاة وحجارة الدخان وغيرها

ومن مصنوعات الاعراب المجاورة لها القدور تؤخذ من حجر يعرف بحجر البرام بواسطة النقر وتستعمل لطبخ الطعام وهى فى ذلك أجود من النحاس وقد يستعملون فى صنعته طريقة غير النقر فيسحقون ذلك الحجر ويضيفون اليه مقدارا من الطين الذى يستخرجونه من جبل اسوان ويمزج ويعجن نحو أربع ساعات ثم يصنعون منه القدور ويجففونها فى الشمس والهواء نحو ٤٨ ساعة ثم يحرقونها فى نار قليلة الحرارة حتى تصير فخارا

ولما ابتهج الخاطر وامتلأ الناظر من مناظر اسوان رجعنا منها وقد غربت الشمس الى الباخرة وقضينا الليل بها يذكر كل منا ماشاهده لاخيه الى أن بزغت غزالة يوم الجمعة السادس والعشرين من شعبان سنة ١٣٠٩ فركبنا الحر قليلا الى أن وصلنا محطة الوابور البرى الذى أعد لحمل المسافرين من شمال الشلال الى جنوبه وهذه (اليوم الرابع عشر)

المحطة مخصصة للسياحين ولذا وضعوها فى شمال البلدة قريبا من مرسى السفن وأما المحطة العامة فهى فى جنوبها فركبنا منها وابورا أعد لنا وسارينا نصف ساعة بين جبال مرتفعة وسهول فسيحة بها بعض أعراب يعيشون تحت المضارب وانتهى بنا الى محطة على الشاطئ الايمن تجاه جزيرة فيله وعندها كثير من الوابورات الحربية تحفظ الحدود

نزلنا بعضها لرؤيته فرأينا فيه ثلاث طبقات السفلى منها محاطة بطبقة من الصلب وفيها فتحات لرمى الرصاص والوسطى فيها مدفع لقذف كرات النار يدور كيفما شاء مديره والعليا فيها أربعة مدافع ترمى من جميع الجهات وفى المقدم مدفع كبير يبلغ مدى رميه أربعة آلاف متر وهو محاط أيضا بحصن من الصلب يقى من يدير الآلة وهنالك معمل لتصليح هذه السفن على الشاطئ الشرقى عند محطة الوابور وهو يشمل خمس آلات موضوعة على صفين منها ماهو لقص الحديد ويسمى مقصا ومنها ماهو لثقبه ويسمى مثقابا ومنها ماهو لمسحه كفأرة النجار ويسمى بالفارة ومنها ماهو لطرقه ويسمى مطرقا ويدير الجميع آلة بخارية وامام المعمل عمال يتممون مالم تصنعه الآلات فيثبتون نحو المسامير والصفائح فى خشب الوابورات

ثم ركبنا الزوارق وسارت بنا قليلا حتى خرجنا منها على جزيرة فيلة التى كنا نراها أمامنا ونرى بها المبانى الجسيمة وهى جزيرة فى جنوب الشلال على بعد عشر دقائق منه وعلى نحو ستة أميال من اسوان كلها صخور سوداء وحمراء وتسمى أيضا جزيرة البربى لما بها من البرابى القديمة المعروفة بقصر أنس الوجود وأما الاسم الاول أى فيلة فمن وضع اليونان

وبعد ان خرجنا على الجزيرة مررنا أولا بآثار كنيسة بنتها الاقباط فى أول أمرهم ورأينا محرابها وهو حجر اسوانى أبعاده الثلاثة ٣ م و ١ م و ١ م وفى وسطه فتحة غير نافذة على هيئة متوازى مستطيلات ثم دخلنا المعبد القديم المعروف الآن بقصر أنس الوجود والذى ابتدأ فى بنائه بطليموس فيلادلف وتممه من أتى بعده من

(قصر أنس الوجود)

البطالسة والرومانيين وجدران هذا المعبد الخارجة مؤسسة على نهاية الجزيرة وذلك لانهم بنوا أولا على أطراف الجزيرة حيطانا عمودية شبيهة بالسور لمنع التسلق عليها والصعود اليها من غير بابها لانه كان لايسكنها الا الكهنة وأرباب الديانة لذلك سارت بنا الزوارق كثيرا حتى وصلنا الى المحل المعد للصعود مع أن الجزيرة قريبة جدا من الشاطئ

وهذا القصر متسع به رحبة عظيمة بها عدة أعمدة صغيرة كانت دائرة بجميع هذه الرحبة يظهر أنها كانت حاملة لسقوف قليلة العرض فى جميع حوائط الرحبة ووجدنا بها أحد السياحين الامريكانيين ومعه زوجته وهو مشتغل برسم ذلك القصر ويقال انه يأتى الى هذه الجزيرة من خمس سنين مضت ليتم رسم المعبد

ثم دخلنا من باب عظيم جدا يشبه باب هيكل ادفو يبلغ ارتفاع برجيه خمسة وستين قدما فوجدنا داخله رحبة بها عدة أعمدة عليها كثير من النقوش ووجدنا أيضا بهذه الرحبة نسخة من الحجر الرشيدى الذى توصل بما كان مكتوبا عليه الى حل رموز الكتابة الهيروغليفية ولكن هذه النسخة ليست عليها الكتابة اليونانية وفيها أيضا نقوش على حجر عظيم فى الحائط المقابل للباب هى عبارة عن صورة الحجة التى كتبها الملك للكهنة بان هذا المحل صار موقوفا على الآلهة

وفى الحائط الشرقى رموز تدل على كيفية تركيب البخور وبعد ذلك دخلنا عدة غرف مزدانة بغريب النقش وجميل التصوير وهى مظلمة لقلة وضيق النوافذ الموصلة للضوء ومن أهمها غرفة كانت معدة لوضع الكتب المقدسة

ثم صعدنا فوق السطح فرأينا غرفة صغيرة من أهم مابها من الرسوم صورة رأس الخروف الدالة على معبودهم المدعو (كنوم) ثم صعدنا على سلم صغير حتى ان بعضنا كان لايستطيع الصعود عليه الا وأحد المتدربين آخذ بيده فكان منظر الجزائر من هنالك يسر الخاطر وعند مازار استرابون المؤرخ الشهير هذه الجزيرة رأى الصقر المقدس الذى كان معبودا عندهم ولكنه كان فى غاية الضعف

ثم ملنا الى محل يسمى عرش فرعون وهو عبارة عن سقف مقام على عدة أعمدة من أربع جهاته بين هذه العمد بناء لغاية نصف ارتفاعها

وقد كسر الحجر المسقوف به الباب فربطت قطعتاه ببعضهما بواسطة قضبان من حديد فتناولنا به الغداء

وبعد ما زالت الشمس ركبنا الزوارق وقصدنا الشلال فكنا نرى أحجار الجرانيت كانها البلور ملاسة ولمعانا وهى تعلو فى مكان وتنخفض فى آخر ولم نلبث غير القليل حتى وصلنا الشلال وكنا نسمع صيت هذا الاسم فنكبر مسماه ونود لو أنا نراه

فحين عاينا جداوله وشاهدنا منافذه أخذنا نتعجب كيف أن هذه المجارى على صغرها وقلتها تمر منها هذه المياه الجمة ذات الامواج الهائلة بحيث انا لو قارنا بين اتساع النهر تجاه قصر النيل مثلا وبين هذه المنافذ لما وجدناها تبلغ معشارا منه ولكن الذى سهل نفاذ هذه المياه على كثرتها سرعة تدفقها العجيبة وعندما صعدنا من الزوارق رأينا أقواما من البرابرة مابين طفل وشاب وهرم متهيئين للسباحة وسط هذه الامواج فحين وصلناهم ألقوا بانفسهم فى الماء فحينا يعومون وطورا يغطسون وبعضهم كان يسبح بواسطة خشبة جافة الى غير ذلك من الامور التى يخاطرون بها على أنفسهم قصد الحصول على قرش واحد أوأقل وهذا شأن المحتاج الذى لايجد مايسد به رمقه وبالجملة فمنظر هذا الشلال فى غاية الحسن وذلك ان المياه تجىء اليه مؤتلفة مع بعضها آخذة سطحا واحدا فعند ماتصادمها جنادله المرتفعة كثيرا فى مكان وقليلا فى آخر تحدث عندها النفور من بعضها وتتفرق بعد ائتلافها فتتدفق من تلك المجارى ويسمع لها قصيف من مسافات بعيدة

ثم ركبنا الزوارق وثنينا عنانها نحو محطة الوابور البرى فركبنا ورجعنا الى اسوان فوصلناها بعد المغرب وتوجهنا الى الباخرة فقضينا بها ليلتنا

(اليوم الخامس عشر) وفى صبيحة يوم السبت السابع والعشرين من شعبان سنة ١٣٠٩ توجهنا لزيارة مدرسة اسوان الاميرية ولم يمض نحو ربع ساعة حتى وصلناها وهى واقعة فى

مكان صحى ورحبتها مفروشة بالحصى الدقيق تحتوى على أربعة محال للتلامذة وعلى محل الناظر ومحال أخرى لباقى اللوازم وقد أخذ المستر دنلوب يفتش أحوالها والمستر فانديك يختبر التلامذة فى اللغة الانكليزية وحضرة الرياضى احمد افندى حمدى يختبرهم فى الرياضيات التى تدرس هنالك وحضرة الاستاذ الشيخ محمد سلامه والشيخ محمد المهدى يختبران فى اللغة العربية وفروعها ولقد شاهدنا من نشاط التلامذة وذكائهم وسرعة اجابتهم ماجعلنا نثنى على ناظرها ومعلميها ودرجتها لاتنقص عن درجة أعظم مدرسة بالوجه القبلى ومن الغريب ذكاء التلامذة الى درجة ما كنا نظن وجودها فى تلك البلاد ولم نزل فيها حتى جاء وقت الظهيرة فيممنا السفينة وتناولنا الغداء وأدينا صلاة الظهر ثم توجه رئيس الارسالية الى المدرسة مرة ثانية ولم يزل هنالك الى آخر النهار وكان فى نية عمال السفينة الشروع فى العود فى ذلك اليوم ولكن تأخر الرئيس اضطرهم الى المبيت وفى علمنا أن حضرة المفتش لم يسر بمدرسة أكثر من سروره من تلك المدرسة واللغة العربية هنالك متقدمة لدرجة تسر كل مصرى ولقد دعا المستر دنلوب حضرة ناظرها محمد افندى جودت وبعض أساتذتها لتناول العشاء فى السفينة وقد شاهدنا هنالك كثيرين من عرب البشارية وهم سود الالوان نحفاء الاجسام واسعو العيون لايعرفون أحوال الزراعة وهمهم اقتناء الابل والسعى بها للحصول على المعيشة بنحو نقل البضائع عليها ومما يؤسف عليه أن الدراويش فى هذه الايام الاخيرة أهانوهم ونهبوهم حتى تفرقوا فى البلاد بالوجه القبلى فمنهم كثيرون بالاقصر وما جاورها وباسوان وغيرها يسألون الناس الحافا وقلّ أن يقوم السؤال بحاجة انسان ولفقرهم المدقع كنا نشاهد الواحد منهم مكشوف الرأس ليس عليه من اللباس الا سراويل وشملة وكان منهم من يأتون عند السفينة ويلعبون بالسيف والدرقة لاخذ مايستعينون به على معيشتهم ولهم رطانة خاصة بهم تغاير رطانة البرابرة ولو وجهت الحكومة عنايتها لهؤلاء المساكين الذين لا كسب لهم الآن لعدّ ذلك من ضمن مآثرها الجميلة

(اليوم السادس عشر)

وعند الساعة السادسة من صبيحة يوم الاحد الثامن والعشرين من شعبان سنة ١٣٠٩ أقلعت الباخرة راجعة بالسلامة من اسوان وكانت الريح شديدة اذذاك وبعد قليل مررنا على بلدة تسمى العضية بها نخيل كثير يظنه الرائى من بعد غابا وهو لتقاربه مظلم جدا ولم نزل سائرين حتى جاءت الساعة الثامنة فوصلنا هيكل (كونبو) وخرجنا لزيارته وهو واقع على الضفة الشرقية فى محل مرتفع قليلا عن سطح الارض وهو متخرب وكان امام بربى انهارت فى النهر مع طول الزمن وعمل المياه فيها بحيث ان الانسان اذا أمعن النظر عند سكون الماء وصفائه يشاهد الحجارة العظيمة فى جوف النهر وقد بنى هذا الهيكل الموجود الآن فى عهد بطليموس الثامن وله بابان أحدهما يوصل لاله النور والثانى لاله الظلام ويرمز اليه برأس التمساح وحينما يدخل الانسان من الباب الاول يجد صورة ايسس على يمينه ورأس التمساح على يساره و يجد الحيطان مطرزة بالنقوش الظاهرة ورؤس أعمدتها على شكل زهر البشنين والبعض ليس كذلك وبعض الهيكل سقفه باق والبعض الآخر سقط وحجارته ملقاة فيه والحجر الواحد من حجارة السقف على شكل متوازى مستطيلات طوله نحو سبع خطوات وعرضه خطوة وسمكه ثلثا خطوة وعلى يسار الداخل من الباب الثانى صورة الشيطان ولا نعجب الا من جعل الصورة دالة على المصور بحيث ان الانسان لا يتصور الشيطان على فرض أن يراه الا بمثل تلك الصورة القبيحة (هيكل كونبو)

وعلى الحائط المقابل للداخل من الباب المذكور صورة بطليموس بانى الهيكل وعلى يده علامة الحق يقدمها للاله وذلك الاله جالس على كرسى لطيف جدا وليس لهذا الهيكل أهمية كبرى عند السياحين لتخربه وقرب مدته باضافته الى غيره من المبانى القديمة وأمام الهيكل من أعلى شرافات شاهدناها ونحن فى السفينة وعليها ألوان زاهية جدا وهو وان كان الآن قليل الاهمية الا أنه يستدل من نقوشه وشرافاته أنه كان عظيما مهما ولا بد أن يأتى زمن ليس ببعيد تأكل المياه فيه جميع الهيكل لانها متسلطة عليه تمام التسلط وقد استغرقت مشاهدته نحو عشر دقائق ثم سارت

الباخرة حتى رست تجاه ادفو وعنـد ذلك خرج المفتش وتوجه الى مدرستها لتتميم بعض المصالح ثم جاء ولم يخرج منا أحد وأقلعت السفينة ولم تزل سائرة حتى دنت الشمس من الحجاب فوصلنا بلدة اسنا وهى واقعة فى الجهة الغربية للنيل بين اسوان وطيبـة والوادى من هنالك يبلغ نحو ٨٠٠٠ م فخرجنا نجوس خلالها واذا بعضها مبنى بالآجر والبعض الآخر باللبن وقد زحف عليها الماء وخرب فيها بعض الابنية وشكلها بيضاوى وهى واقعـة على تل مرتفع كعادة المدن المصرية القديمة ويبلغ طولها من الشمال الى الجنوب ٩٠٠ م وعرضها نحو ٤٠٠ م وفى وسطها ميدان عظيم مستطيل الشكل يبلغ نحو ٣٤٠٠ م وفيه كثير من الباعة وبها سوق دائمة كعادة المدن الكبيرة ولها سوق فى كل أسبوع يوم الاحد تفد اليه العرب والاهالى وتباع فيـه السلع الشرقيـة وتكثر فيها الحرف والبضائع كنسيج الملاآت وأنواع الملبوسات من القطن والصوف وبها معاصر لزيت الخس ويجلب اليها من جميع بضاعات القطر المصرى من القاهرة وغيرها لاسيما مصنوعات الوجه القبلى كالبرد والاردية ويسمونها الشقق وهى تستعمل للنساء بشكل وللرجال بآخر وأهاليها أشد تمسكا بالدين من غيرهم وقد رأينا أنه كلما تقدم الانسان جهة الجنوب يجد التمسك بالدين آخذا فى الزيادة بنسبة تقدمه فى البلاد الجنوبيـة وفى الغالب أهل البنادر يغلب عليهم رقة الدين وفوق غالب بيوتها أبراج الحمام وكلها مبيضـة بالجير خوفا من الهوام ولذلك كان ثمن الحمام فيها قليلا بالنسبة الى غيرها وتلك المدينـة ليست حديثة العهد وانما هى مدينة قديمة كانت احدى مدن الفراعنـة الشهيرة وكانت رأس مديرية كما كانت حديثا كذلك واسمها القديم سنا وتسميها الرومان لنيوبوليس واسمها الحالى اسنا بكسر الهمزة وتفتح كما فى القاموس (اسنا)

وفى كلام الادريسى أنه كان بها ١٢٠٠٠ بيت وسبعون حارة كبيرة وأرض هـذه البلدة وكذلك جميع آراضى مديريتها مرتفعة بحيث يخشى عليها عدم الرى عنـد انخفاض النيل قليلا وكانت أيام دخول الفرنسيس لا تصلها المياه فى غالب السنين

وكان لايزرع من أراضيها الا جزء قليل وهو ماانخفض من أرض الشاطئ فى شمالها ولما لاحظتها عناية العائلة المحمدية كما لاحظت غيرها من القطر زرعت أراضيها وصارت ذات خصوبة جيدة وفى مدة المغفور له سعيد باشا أصلحت اصلاحا عظيما ولما دخل جزء منها فى أملاك الخديوى الاسبق اسماعيل باشا وجه عنايته اليها ورتب هنالك وابورا لسقى الاراضى التى تحت حوزته وكان يزرع القطن بنواحيها فتأخذه النساء ويغزلنه وينسجنه ثيابا تباع للعرب وللاهالى وكان يشتغل بهذه الحرفة كثير من المدن ولم تزل للآن ولكنها أقل منها قبل وبها جوامع كبيرة أشهرها الجامع العمرى وجامع الشيخ الصفوى وله مقام هنالك يزار وله مولد سنوى يعمر ثمانية أيام كعادة الموالد وقد ولد بها العلامة أبو عمر وعثمان بن الحاجب المالكى تلقى العلم بالقاهرة ثم درس فى دمشق وكان بارعا فى العربية وله الكافية والشافية فى النحو والصرف وبعد أن عاد الى القاهرة لازم حلقته كثيرون ثم انتقل الى الاسكندرية للاقامة بها ولم تطل اقامته حتى مات بها ضحوة يوم الخميس ٢٦ شوّال سنة ٦٤٦ هـ ودفن خارج باب البحر بتربة الشيخ صالح بن أبى اباق وكان ميلاده فى أواخر سنة ٥٧٠ باسنا وولد بهذه المدينة أفاضل كثيرون لهم شهرة عظيمة ولولا خشية الاطالة لاتينا على ذكرهم ولما انتهت مشاهدة البلد عدنا الى السفينة وقضينا ليلتنا بها

(اليوم السابع عشر (بربى اسنا))

ولما أصبح صباح يوم الاثنين التاسع والعشرين من شعبان سنة ١٣٠٩ قصدنا بربى اسنا فسرنا فى خلال البلدة حتى وصلناها فاذا سقفها فى استواء سطح الارض فدخلنا من الفتحة المتوسطة وهى تساوى قدر فتحتين من الفتحات التى بين الاعمدة الحاملة للايوان وكل فتحة مما بين الاعمدة تبلغ ١٫٧٥ م فنزلنا من تلك الفتحة واذا بايوان مرتفع يحمل سقفه ٢٤ عمودا محيط الواحد منها نحو ٥٫٤ م وارتفاعه ١١٫٣٠ م وهى مصطفة أربعة صفوف وبين كل عمودين فى السقف متوازى مستطيلات يربطهما وعمق الايوان نحو ١٦٫٥ م وعرضه نحو ٢٣ م والنوريأتيه من

الفصات التى بين أعمدة الوجهـة وجميع حيطانه منقوشـة من الداخـل بالنقوش الفلكية وهى عبارة عن البروج بترتيبها المعروف وقد مسح بعض الزائرين مسطح ماهو موجود من حيطانه فوجده يبلغ ٥٠٠٠ م

وقد أزيلت عنه الاتربة أيام المغفورله محمد على باشا ووجدت نقوشه سالمة وقرأها العالمون باللغة البربائيه فعلموا أنه بنى فى أيام القياصرة وهنالك أسماء جماعة منهم وبعضهم يعزوه للبطالسة ويقال انه خصص للالهين (كنوم وهورس) ولم يستكشف منـه الا الرحبة الاولى المتقدمة وسـقفه بديع النقش جدا لكنه مصاب بالعثان (الهباب) وبيوت الاهالى بعضها فوق سـطحه ويبلغ طول الحجر من حجارة السقف ٨ أمتار وعرضه نحو مترين وعلى كل حال هو من أنفس الهياكل المصرية وقريب الشبه بهيكل دندره

(مدرسة اســنا)

ثم قصد كثير منا مدرسـتها وبعد قليل وصلناها فوجدناها فى قصر واقع فى الشمال الشرقى فى وسط حديقة لطيفة ومحال الدروس منتظمة وقد اختبرنا تلامذتها فى فروع اللغة العربية واختبرهم المسـيو فانديك فى الانكليزية وحضرة احمد افندى حمدى فى الرياضة وحضرة احمد افندى نجيب فى الجغرافيا والتاريخ وكانت درجاتهم حسنة

كل هذه المدارس التى رأيناها فى سفرنا هذا وأنبأنا بخبرها وما هى عليه جزء من كل وقليل من كثير من المدارس التى أنشأها فى القطر السعيد والوطن العزيز الرجل الغيور على بلاده الشغوف بتقدم أمته حتى تضاهى غيرها من الامم رجل المعارف شيخ المدارس أبو العلوم مؤسس دارها ومشـيد بنيانها عطوفتلو على مبارك باشا فقد شهدت له أعماله والاعمال خير شاهد بانه الساعى فى ارتقاء المعارف وتربية الرجال للبلاد لعلمه أن سعادة الامة ورفاهيتها انما تشيد على أساس متين هو حسن التربية وتقدم العلوم فالامة تبقى راقدة فى ثوب السعادة متوشحة بوشاح الرفاهيـة متقلدة سـيف القوة والمنعة طامعة فى الارتقاء والتقدم آمنـة من التقهقر مادامت متعلقة بتربيـة أبنائها وتنوير بصائرهم حتى يمكنهم القيام بنفع بلادهم من اى باب ولجوه

أو سبيل سلكوه فالمتربى ينفع أمته فى أى صنعة وجد أو عمل تولاه فان كان صانعا جدّ فى اتقان صنعته وترقيتها فيكون خير عامل على سعادة البلاد وأهلها وان كان متوليا الوظيفة كدّ وكدح وجدّ واجتهد حتى يقوم بما نيط به من العمل أتم قيام ويتقنه أحسن اتقان فيكون قد عمل لوطنه مايحمده عليه أبناؤه وان كان زراعا أو تاجرا كان نفعه أقوى وأعظم ومن هنا يجب على الامة تعميم التعليم الابتدائى فى جميع أفرادها لاتخص به طبقة من الناس دون غيرها أوهل نعاب بان يكون الزارع منا فى وسط مزروعاته يعلم القراءة والكتابة ويعلم من الحساب مايقضى به حاجاته أو تضطره اليه أحوال معيشته

ولم نزل بالمدرسة حتى جاءت الساعة ١١,٥ فقصدنا الباخرة وتناولنا الغداء وأدينا صلاة الظهر جماعة يؤمنا حضرة الاستاذ الشيخ محمد سلامه وكان ذلك اليوم آخر يوم من شعبان سنة ١٣٠٩ هـ فسارت السفينة ونحن نتحادث فى شأن ذلك حتى وصلنا بلدة الاقصر وقد هرم النهار فرست هنالك الباخرة فاستقبلنا شهر رمضان بالترحاب وقد فرض الله سبحانه وتعالى علينا صيامه وجعله ركنا من أركان الدين فاردنا أن تنتظم فيه أوقات الغذاء على مايقتضيه القيام به خصوصا وأن من كان معنا على غير دين الاسلام قليل جدا ولكن حالت بين ذلك موانع حتى زعم بعض من ربى تربية أوروبية فصار لايعرف من الدين غير اسمه أن الصيام فى هذه الحالة غير حسن ولكن تم لنا دون كل عائق القيام بتلك الفريضة الدينية والشعار الاسلامى وان كانت الراحة أقل درجة مما كنا نراه فى باقى مدة السياحة ومن استمسك بدين الله فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها ويالبت من ينسب نفسه الى دين هو غير عالم به ولا مقلد لعلمائه أن يكون خارجا عنه وحق على الدين وأهله التبرؤ منه

ولما كانت السفينة راسية على الاقصر كما قدمنا وكان الحاج محمد عليوه الذى هو أول ترجمان لجناب المستر كوك قد دعانا قبل الوصول اليها لتناول السحور فى منزله لبينا دعوته وحققنا له ذلك فوجدنا منه رجلا ذا مروءة وأدب لاتمله الانفس من

حسن أخلاقه بل هو غذاء لها ونماء للاجسام وانقضى هـذا الوقت ونحن فى غاية الانشراح من خلاله المقبولة حتى كان وقته غرة أيام السياحة ارتياحا من همته ولما مال الليل للانصراف وكادت الغزالة أن ترعى نرجس الظلام رحلت بنا السفينة عن تلك المدينة وهى تضطرب اضطراب الولهان وزفيرها قد ملأ الجو دخانا حتى تجلت لنا مدينة قنا الى أن حاذيناها وسكنت الباخرة وألقت مرساها خرجنا أفواجا لنطلع على خباياها وذلك يوم الثلاثاء غرة رمضان المعظم المكرم سنة ١٣٠٩ ولبعدها عن نهر النيل ركبنا الحمير وبعد زمن دخلناها وصرنا نجوب طرقاتها ونقصد أسواقها ومجتمعاتها ونتطلع أخبارها ونستطرف غرائب أحوالها فاذا هى مدينة عظيمة فى العمران قد تحلت بجانب من الحضارة والتقدم والتمدن واقعة على شاطئ النيل على بعد ٦٠٠ قصبة منه وكانت تسميها الرومانيون نيا بوليس وهى مقر مديرية تنسب اليها وبها دواوين للمديرية (والمحكمة الاهليه) ومستشفى للمرضى ومحل للتجارة يباع به بضائع مصر وبها جملة مخازن للتجارة وبها فنادق لنزول الاغراب حازت طرفا من الانتظام وبها عدة معاصر لاستخراج الزيت من القرطم والسلجم وغيرهما مما يجعل بها من الثروة مايزيدها تقدما وحضارة وبها أسواق يباع فى كل منها أصناف مخصوصة وبها سوق للبضاعة أما منازلها فبالآجر واللبن وبها قصور مشيدة البنيان مزخرفة الالوان شوارعها آخذة فى الانتظام ومن المآثر المحفوظة عن أهلها صون النساء فى المنازل فلا تظهر احداهن فى الازقة والاسواق وياليها من صفة محمودة العواقب مرفوعة المراتب ينبغى النظر اليها بعين الاستحسان فان اختلاط النساء بالرجال مفسدة وأى مفسدة يكثر بسببها العثو وتعظم الملاهى وتسترسل المعاصى

(اليوم الثامن عشر)

وقد مضى على هذه المدينة زمن وهى محط رحال الحجاج وسبيل لهم يمرون منه الى القصير وفى عودهم يطمئنون اليها لقضاء أوطارهم فيجدون بها جميع ما يحتاجونه لانفسهم وما يستصحبونه لمنازلهم فكانت البضائع تروج فى تلك الايام وتحصل حركة عظيمة للاسواق والآن أكثر الحجاج يسافرون من السويس ومع ذلك لم تنقص خيراتها ولا ثروتها الا قليلا

وفيها قطعة أرض تقرب من فدان تؤخذ منها الطينة الطفلية التى تصنع منها أوانى الفخار المشهورة مثل القلل والابارين والخوابى وغير ذلك ولهذه الاوانى شهرة بما لها من خاصية تبريد الماء مع خفتها ولطافتها وهذه القطعة مع كثرة الاخذ منها لاتنفد ولاتنقص فان الجبل يهيل عليها بعضا من رماله الطفلية والنيل يعمها كل سنة ثم ينزل عنها وقد أخذت منه بعضا من طميه فتستوى أرضها وتعود كأنه لم يلامسها أحد وهناك كثير من المعامل ولنشرح كيفية عمل الاوانى فنقول يلزم لذلك ابتداء تنقية الطينة من المواد الغريبة مثل الاحجار وغيرها ثم تعجن وتهيأ لان تكون فى استعداد لما يرد عليها ثم يأخذ العامل قطعة تناسب قدر الآنية التى يريد أن يصنعها ويعطى لها الشكل المطلوب والآلة التى تساعد على هذا العمل تتكون من عمود رأسى فى قمته العليا قرص من الخشب وفى أسفله قرص آخر أعظم من الاول فاذا أراد الصانع عمل قلة مثلا يضع القطعة فوق القرص الاعلى ويدير القرص الاسفل برجله ثم يضع ابهاميه فى القطعة وباقى أصابعه محيطة بها والعمود دائر فيحصل بهذا السبب تجويف فاذا بلغ الحد المطلوب ضم أعلى التجويف حتى يصير على قدر فتحة الرقبة ثم يصنع الرقبة وحدها ويلصق الجزئين فتخرج قلة الا أنها تكون جسيمة السمك فاذا أراد ترقيق سمكها فعل ذلك بمقسط معد له

أما كيفية عمل الازيار فأولا يصنع أسفله على العمود الرأسى كالقلل ثم بعد ذلك يجفف ويصنع فوق الجزء العلوى شيأ فشيأ ومتى تم يحرق فى أفران معدة لذلك موضوعة بكيفية مخصوصة بحيث لايخرج الدخان على الاوانى حتى تخرج نظيفة وبعد هذه الاعمال يعرض للبيع وتكون حينئذ ذات مسام تسمح بنفوذ الماء منها وهى الواسطة فى تبريد المياه

وبها عدة أضرحة أشهرها ضريح العارف بالله السيد عبد الرحيم القناوى ابن احمد ابن حجون بن محمد بن حمزة بن جعفر الصادق النزعى المولد السبتى ونزعة من أعمال سبتة وقال الحافظ بن الرشيد المنذر انه عمارى من المغرب وأقام بمكة سبع سنين

على ماقاله بعض المؤرخين ثم قدم قنا وأقام بها وتزوج وولد له أولاد وكانت اقامته بالصعيد رحمة لاهله فانه قد أفاض عليهم من سجال معارفه مااستولت به نفوسهم الكاملة على بقية النفوس الشهوانيه وأشرقت أنوار قلوبهم لما دخلوا خلوته فاتفق أهـل زمانه على أنه القطب المشار اليه والمعوّل فى الطريق عليـه وكراماته شهيرة يعرفها من اطلع على مناقبه رحمه الله رحمة واسعة وله تصانيف فى التوحيد ورسائل فى التصوف ويعمل له مولد كل سنة يرسم من أول شعبان الى نصفه وأهل قنا مجمعون على اجابة الدعاء عنده بشروط معلومة عندهم توفى فى شهر صفر سنة ٥٩٢ هـ يوم الجمعة بعد صلاة العصر تاسع الشهر المذكور

وفيها أيضا الفاضل عبد الجواد بن شعيب الانصارى الشافعى

قال بعض المؤرخين أصله من مدينة قنا ونشأ بغيرها وأتى مصر وصار من علمائها وأدبائها وكان صوفىّ المشرب اذا حدّث أعجب وأبدع وأغرب وكان كثير الحفظ للاشعار ونوادر الاخبار أخذ عنه النور الزيادى ومن فى طبقته وله مؤلفات كثيرة منها رسالة بديعة فى الاستعارات سماها القهوة المدارة فى تقسيم الاستعارة ونظم الورقات والنسيم العاطر فى تقسيم الخاطر والقصة الوفية فى يقظة الصوفية وكشف الريب عن ماء الغيب ومن غزلياته قوله

ماالصـطفى قلبى الا مصطفى * هو حسبى من حبيب وكفى
أسـعد الله تعالى طالعا * حـل فيـه وأراه الشرفا
ماعليـه لوسـقانى ريقه * انه الشهد وفى الشهد شـفا
ان وفى الدهر به فى ليـلة * فهو عندى دائما أهل الوفا

قدم مكة حاجا وجاور بها سنة ١٠٦٣ هـ وأخذ عنه بها كثير من فضلائها ورجع الى بلده واستمر بها الى أن توفى سنة ١٠٨٣ هـ

(اليوم التاسع عشر) وفى عصر يوم الاربعاء الثانى من رمضان سنة ١٣٠٩ بارحنا قنا قاصدين دشنا فلما وصلناها وقد خيم الغلس على الجوّ ألقت الباخرة عصا التسيار للمبيت على شاطئها

فخرجنا للرياضة بالمشى عليه وبعد هنيهة عدنا الى السفينة ودشنا مدينة قديمة بدليل ماأظهره النيل حين مال عليها من الصخور المرسوم عليها نقوش بالهروغليفى دالة على قدمها وهى واقعة على ضفة النيل الشرقية تبعد عن قنا بنحو أربع ساعات ذات أبنية جيدة ومخازن للبضاعة وسوق دائمة تباع فيها ثياب القطن ونحوها وبها معمل دجاج ومعاصر سكر ومصابغ وأنوال تحاك فيها ثياب الصوف وملاآت القطن وحوانيت للبضاعة وبها عدة قهاوى افرنجية ومنازلها الواقعة على ضفة النيل مرتفعة على اكمة صغيرة وأغلبها باللبن وبها عدة مساجد معمورة بالعبادة ويدرس فى أكثرها علوم الشريعة والعربية من نحو وصرف وبلاغة ومنطق منها الجامع العمرى يقال انه من زمن الفتح الاسلامى وهو معمور بالتدريس فيدرس فيه التفسير والحديث والنحو والصرف وغيرها ولاهل البلد وما حازاها من البلدان عادات فى الافراح تنبو عن حد التمدن والاعتدال بل هى من أخلاق التوحش والهمجية وهى أنهم فى ليلة الزواج أو الختان يأتون بصاحب الفرح فى فناء وينزعون عنه ثيابه والرجال والنساء يحيطون به ثم يغسلون جسمه فى قصعة أو طشت من نحاس أو فخار وينادى عليه رجل معد للمناداة (الصنيه يامحبين) والنساء يغنين فيأتى محبوه ويضعون فى اناء من نحاس مثلا دراهم كل منهم على قدره ويسمون ذلك نقطة تكتب فى دفتر عند صاحب الفرح ليردها فى أفراحهم ثم يلبسونه ثيابا جديدة ويجلسونه على فراش ويسمونه الامير ويعمدون الى الزوجة فيحملونها على فرس ويرفونها من بيت أبيها أو غيره ليلا وبئست هذه العادة القبيحة التى لم يعرضوها على محك النقد ولم يزنوها بميزان الشرع حتى يتبين لهم أن كشف عورته بين الرجال والنساء أمر قبيح نهى عنه من بين لنا المحاسن من الرذائل ويعلمون أن هذه الاخلاق من سمات الهمجية الذين لافرق بينهم وبين الحيوانات العجم

ويالليت كيف أخذوا بهذه العادات وبين يديهم قانون يكفل لهم البحث عما ينبغى أن يتخلقوا به

ومن عادات بعضهم عنـد افتتاح الفرح أن تخرج أقرب امرأة الى صاحبه كأمه أو أخته مثلا ولو مخدرة فتفتح الرقص أمام الحاضرين الاجانب وبعد برهة تنصرف ويرون ذلك أمرا لابد منه ثم تتلوها الغوازى أى الراقصات فاين الحمية الدينية وأين الشهامة العربيـة ان هذا لهو الضلال المبين

وقد نشأ بها عدة من الافاضل منهم زكريا بن يلى بن هارون بن يوسف بن عبدالحق الدشـناوى مولدا التونسى محتدا وكان للفقه بدرا وللادب خدرا شاعرا مجيدا ومن شعره فى شاب اسمه حطانى

فقال لى العذول علام تبكى * فقلت له بكيت على حطانى

ومن كلامه أيضا

لاتسلنى عن السلو وسـل ما * صنعت بى لطفا محاسن سلمى

أوقعت بين مقلتى ورقادى * ومقامى والجسم حربا وسلما

توفى بالقاهرة سـنة ٧٧٧ هـ

ومنهم اسماعيل بن هارون وينعت بالنفيس وقد حاز من التصوف كل نفيس وكان له معرفة بالنحو والادب وله نظم رقيق منه قوله

قل لظباء المكتب * رفقا على المكتئب

فقـد بلى بحبكم * شيخا وكهلا وصبى

دموعـه جارية * كالوابل المنسكب

عـلى زمان مربى * لذيذ عيش خصب

لذة أيام الصـبا * ياليتهـا لم تغب

قضيت منها وطرا * ونلت فيهـا أربى

بين حسان خرد * منعمـات عرب

وشـادن مبتسم * عن در ثغـر شنب

ألفاظه تفعـل ما * يفعـل ماء العنب

وكان مع ذلك صوفيا ورعا ملازما للمسجد الناصرى السلطانى توفى بمصر سنة ٧٣٠ هـ
ثم رحلنا عن دشنا صباحا قبل أن ينض الجؤجؤب الغلس وسارت بنا السفينة حتى
وافينا البلينه غدوة يوم الخميس الثالث من رمضان سنة ١٣٠٩ فوجدنا الركائب
(اليوم العشرون) مستعدة على ضفة النيل الغربية لاجل توصيلنا الى العرابة المدفونة لاستطلاع
آثارها الغريبة فركبناها واخترقنا البلينة وهى قرية كبيرة تابعة لمركز برديس من
مديرية جرجا جل منازلها باللبن غير منتظمة العمران مشهورة بالنخيل يزرع بها
القصب بكثرة وبها معاصر لذلك ويعمل بها قفف وزنابيل من الخوص وحصر من
الحلفة بكثرة وكانت المياه لديهم غير كافية للزراعة سنة ١٢٧٥ فعملت لها ترعة الحمران
حتى صارت مأمونة الرى وحصل لاهلها زيادة الفائدة وكان بها قديما كثير من
الشعراء حتى قيل ان بعض حكامها مدح فى عيد من الاعياد بخمس وعشرين
قصيدة من شعرائها وسرنا نحو الساعتين ونحن نكابد مشاق السير وصعوبة الصوم
فى قيظ الحر حتى كادت المطايا أن تنشد بلسان الحال

أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا * فقلت كلا ولكن مطلع العجب

(العرابة المدفونة) الى أن تمتعنا بمشاهدة العرابة المدفونة وهى مدينة كانت قديما من أهم مدن الوجه
القبلى تلى مدينة طيبة فى العظم والحضارة والتمدن وكثرة العمارة وكانت تسمى
فى الازمان السالفة أبى دوس اذ كانت على مقربة منها وكانت مقرا للعائلة الاولى
والثانية من الفراعنة على ماحكى المؤرخ ماريت باشا وهى واقعة فى سفح جبل
ليبيا بينها وبين النيل ستة أميال وبها الآثار القديمة التى استكشفت فى عصر
اسماعيل باشا الخديوى الاسبق رفعت عنها الاتربة والرمال بمعرفة ماريت باشا
وملاحظته وهى ذات أبنية فى غاية الاتقان عليها كتابة مفيدة وبعض غرفها معقود
بحجارة كبيرة طول الواحد منها خمسة أمتار ملحوم بعضها فى بعض بناها سيتى الاول
وتممها رمسيس الاكبر ويشاهد على الحائط الذى على يمين الداخل صورة الهين يعطيان
القوة للملك وينسب أحد هذه المعابد وهو الجنوبى الى سيتى الاول وقد بنى فى مدة

ابنه رمسيس وهو من أعجب المبانى مشتمل على سبعة محاريب الاول فيه صورة سيتى الاول وهو يعبد (هورس) الثانى فيه صورة سيتى يعبد (ايسس) الثالث فيه سيتى يعبد (اسيرس) وبه كيفية عصر العنب لاستخراج النبيذ وهنالك فى مقابلة الباب الاول من جهة اليمين يوجد سيتى يقدم صورته من الذهب لايسس واسيرس والبخور لهورس وهذه الغرفة من أجل الغرف وبجانبها غرفة أخرى فيها اسيرس لابس التاج الكامل وهورس يصب على رأسه ماء التطهير وبجانبه صورة اله الحروف يقدم الى سيتى تاجى الوجهين ويعطيه الحياة ويليه صورة سيتى وهو لابس جلد النمر فى صفة كاهن يعبد اسيرس وتجاهه سيتى واله الحروف يقدم له النار وأغلب صور هذه الغرفة لسيتى وبجانبها غرفة أخرى من أحسن شئ فيها أن سيتى يقدم لرمسيس مائدة عليها الخبز والنبيذ والعنب (وأبوجلنبو) وهذا الخبز صغير مستدير يشابه مايسمى الآن بالقرص وعلى حائط هنالك سيتى يقدم لابى قردان (طائر) قربانا وصورة تقاسيم مقياس النيل هنالك أيضا وفى شمال هذا الحائط حائط آخر عليه صورة لسيتى وهو يعبد العجل وصورة له أيضا وهو يعبد الضفدع وعلى الحائط نفسه محراب الصقر المقدس وهو على صورة جميلة جدا

والمحراب الرابع كان مخصصا بعبادة امن رع وهنالك صورة سيتى بيده مفتاح المحراب وهو من خشب يشبه المستعمل الآن فى بلاد الارياف

والمحراب الخامس فيه صورة سيتى وهو يعبد الشمس عند الشروق ويعنون بها الحياة الابدية

والمحراب السادس كان مخصصا لعبادة الاله افتاح ورسومه بيضاء جميلة جدا

والمحراب السابع وفيه ارتقى سيتى الى أن يعبد نفسه وصورة ذلك انه جالس على قضبان تحملها الآلهة وأمامه صورته خاضعة له وتقدم اليه القربان فياللعجب كيف تصور هذا الملك انه اله وعابد معا وأظن هذا لايتصور لعاقل مطلقا ولكن غاية مايصل اليه الفكر أن ذلك كان من ضمن الايهام على عوام الرعية

ثم دخلنا رحبة بها ثلاثة أعمدة تنتهى من الجنوب بمعلمين أحدهما فيه صورة الاله كنوم وصورة سيتى يقدم اليه النبيذ وقد تناوله فلعب به وانتقلت هيئته لان تكون عبرة لمن يعتبر وأمام هذه الصورة صورة هورس وهو يبكى على أبيه اسيرس وصورة الشيطان الذى قتله

والمحل الثانى به كثير من الاشارات الهيروغليفية وفى هذا المعبد وجد الجدول المعروف بجدول الملوك وهو أعظم من الجدول الموجود فى خزانة لندرة والملك سيتى وابنه رمسيس مرسومان فى ذلك المعبد وأمامهما أسماء خمسة وسبعين ملكا غير سيتى وسلسلة الملوك تنتهى الى مينيس مؤسس العائلات المصرية وعند الباب العمومى للهيكل رحبة عظيمة جدا بها أربعة وعشرون عمودا مكونه لصفين متوازيين كل منهما اثنا عشر عمودا وبداخل هذه الرحبة رحبة أخرى تنقسم الى رحبتين كل واحدة منهما بها ثمانية عشر عمودا تكون ثلاثة صفوف

والمعبد الثانى ينسب لرمسيس الثانى وهو شمال معبد سيتى ولم يبق منه غير بعض الحيطان وجدول الملوك بمندره كان فى هذا المعبد نقله الانكليز الى وطنهم والثالث معبد أوزريس فى شمال الثانى ومقبرته كانت بجانبه وكانت محترمة عند المصريين فى ذلك الوقت حتى ان أمراء مصر وأرباب ثروتها كانوا يختارون الدفن فى مقابر تلك المدينة لاعتقادهم أن القبر الحقيقى لاوزريس لايوجد الابها وبمدينة منفيس فلما شاهدنا هذا الهيكل وجدنا الدهر قرعه فهدم بناءه حتى علمنا كيف يبلى الدهر الجديد بتقلباته ويذهب نضرته بحادثاته

وبعد اجالة النظر فى تلك العبر عدنا بين تعب مما كابدناه وفرح بما شاهدناه ثم سارت الباخرة حتى رست على سوهاج وكان المبيت بها

(اليوم الحادى والعشرون) وعند صباح يوم الجمعه الرابع من رمضان سنة ١٣٠٩ توجه رئيس الارسالية لتوزيع المكافآت التى أهداها أحد رجال الانكليز وقدرها خمسة جنيهات على تلامذة المدرسة وعند الساعة الحادية عشرة من صبيحة ذلك اليوم سارت السفينة حتى مرت

بجزيرة شندويل فى الساعة الثانية عشرة صباحا وهى مرسى لم تقف عنـده ولم نزل سائرين حتى مررنا على جبـل الشيخ الهريدى وهو بالجهة الغربيـة وهنالك رجل يخـدم ضريح الشيخ ومن عادة ذلك الخادم أنه اذامرت عليه سـفينة يقذف طنا من البوص فى النهر فلا يزال ذلك الطن يمشى فى الماء حتى يدرك السفينة ويقذفه بكيفية بحيث لابد أن يلتقى مع السفينة حتى اذا وصلها أخذه المسافرون ووضعوا فيـه صرة فيها شئ من الدراهم ويقذفونه فى النهر ثم يركب ذلك الخادم فى زورق صغير له ويسـير فى الماء ليلتقط ذلك الطن فيأخذه وأهل السفن يفعلون ذلك تيمنا بالشيخ والعـادة جارية به وقدفعل ذلك عندما حاذينا الضريح ولم نزل سائرين حتى بعد العصر فمررنا على (ابوتيج) وهى بضم الباء بعدالالف كما فى تقويم البلدان أوبدون ألف كما فى مراصد الاطلاع وخطط المقريزى مدينة على الشاطئ الغربى من النيل جنوب أسيوط بينها وبين أسيوط مسيرة ساعات قليلة وتسمى باللغة القبطية نابونوكا وهى تشتمل على ماتشتمل عليه المدن من (القيسريات) والخانات والحوانيت العامرة بانواع المتاجر والقهاوى وغير ذلك من الاشياء التى تعدّ من ضروريات الحضارة وتكثر بهاتجارة القماش وبهاأنوال لنسيج القطن من ملا آت ومحازم وغزليات وبها معاصر لاستخراج الزيت من السلجم وبزر الكتان ومصابغ لصبغ الملابس ومدابغ لاصلاح الجلود واعدادها للاستعمال ومعمل دجاج ويبلغ عدد أهلها ثمانية آلاف نفس وبها شون لتوريد الغلال من مزروعات الاهالى بنيت فى زمن العزيز محمد على باشا وبها ديوان للقسم والتلغراف وآلة بخارية لطحن الغلال ومخبز ولها مرسى يرد عليه كثير من السفن ولها سوق كل يوم أحد تباع فيه المواشى وغيرها وفى جنوبها الغربى أكمة يؤخذ منها السماد للاراضى وفى غربها أيضا قناطر بنى سبيع فى الترعة السوهاجية بنيت سنة ١٢٩٢ هجريه وبها عدة مساجد أشهرها وأهمها رونقا مسجد الفرغلى فانه حرم من أعظم مساجد الصـعيد له منارتان مفروش بالبسط الثمينة وتوقد فيه الثريات البلورية ويدرس فيه على الدوام فنون الفقه والحديث والتفسير وبه مقام سيدى محمد بن احمد الفرغلى صاحب الكرامات الكبيرة

ثم أخذنا نتسلجل عبارات الوداع ونتطارح أحاديث الاجتماع فتارة نلحظ الدهر بعين الرضا على هذا الاجتماع ونلهج باطراء الثناء عليه مقابلة لما أسداه وقياما بهذه الحقوق التى استصغرنا درر المدح عقدا لها ومرة نلحظه شذرا اذقام دون دوام هذا الارتياح وصار يتوعدنا بتفريقنا أيدى سبا ولقد أعذر من أنذر فاستولت علينا دهشة الفراق وضرب الاسف أطنابه وبتنا ليلة الجمعة فى أسيوط ونزلناها ليلا للتنزه بها فوجدنا الشوارع مزدانة بالانوار والمساجد معمورة بالاذكار والافواه ملآى بالادعية وتلاوة القرآن الكريم والناس فرحون مستبشرون والاسواق عامرة بانواع المآكل قياما بشعائر شهر الصوم المبارك وسرنا يوم الجمعة كله بين مناظر بهجة ولكن قد كان استولى علينا الحنين الى باقى الاخوان فكنا لانرى خضرة المزارع الا أذكرتنا بساتين القاهرة ولاشواهق الجبال الا وتتصور قصورها المشيدة وبتنا فى مغاغة

(اليوم الثانى والعشرون وهو اليوم الاخير)

وفى يوم السبت الخامس من رمضان سنة ١٣٠٩ أمر جناب المستر دنلوب رئيس الارسالية أن نجتمع داخل الحجرة المعدة للاكل فلبينا اشارته فقام فينا خطيبا وأبدى ارتياحه من أخلاقنا حيث لم يجد منا فى خلال السياحة مايكدر صفو الراحة ولا مايعوقنا عن الاستفادة بل أعمالنا يصحبها الثبات حتى لم يفتنا شئ من حقوق الآداب وكنا منقادين لاوامره كما يجب على المرؤس لرئيسه سيما طلبة مدرسة دار العلوم فان حضرته تشكر لهم زيادة عن عموم أفراد الارسالية ثم قال حضرته

ما كنت أظن أيها التلامذة أنكم بهذه الخطة لعلمى أنكم شباب والشباب شعبة من الجنون حتى خطر بفكرى أنكم لاتتبعون الاوامر الا بكل مشقة الى أن كشف الزمان قناعه عن تلك الخلال الحميدة فلكم منا الثناء كل ذلك قاله حضرته باللغة الانكليزية وحضرة المستر فانديك يترجم لنا جملة جملة وعند تمام خطابته خرج بسرعة فلم يتمكن أحد أن يتشكر لحضرته على هذا الثناء وبعد قليل ونحن نستطلع أنوار مصر المحروسه اذ بدت انا منتزهاتها فاستولت علينا راح الانشراح وأخذنا نتلو

عبارات التهانى حيث عدنا من هذه السياحة ولم يحدث فى خلالها ما ينتقد أو يعاب ولما صرنا على مقربة من كوبرى قصر النيل أخذنا فى الاستعداد لمقابلة صاحب السعادة وكيل المعارف وصاحب العزة ناظر مدرسة دار العلوم كل ذلك والباخرة تتهادى فرحا بالاياب

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

وقد تشرفنا بمقابلة حضرتهم ونلنا من جنابهم التهانى بالسلامة وأخذوا يتحدثون معنا فى رحلتنا وحثونا على كتابة ماشاهدناه وهذا مما يدل على عناية سعادة الوكيل بالمعارف وعزتلو ناظرنا أبدى من الانشراح مايعهد فى عزته من الرأفة على أبنائه متعنا الله ببقائه ثم حررنا عبارات شكر وثناء الى المستر كوك وأرسلناها الى نظارة المعارف فوضعتها فى برواز لطيف من الصنع العربى وأرسلتها الى جنابه وهاك صورة عبارات التشكر والثناء لجنابه على ماأولاه من المآثر الجميلة

على قدر أهل العزم تأتى العزائم * وتأتى على قدر الكرام المكارم

ان أحسن شئ سطر فى صفحات التاريخ وتنافس فيه المتنافسون واشرأبت اليه أعناق الفضلاء وبذل كل ذى نفس أبية همته الى ادراك شأوه انما هو نشر الفضيلة بين النوع الانسانى أو احياء أثر من الآثار الخيرية والافعال المرضية يتناقل حسن حديثه الخلف عن السلف فيكون فيه احياء اسم صاحبه مدى الدهر

المرء يفنى و بعد الموت تذكره * آثاره الغر بالحسنى وتحييه

وكل ذى همة فى الناس مجتهد * لنشر فضل وفضل الله يؤتيه

وان أهم فضل يذكر وأثر يشكر ماتفضل به علينا جناب المستر جون كوك بالتبرع بالسياحة فى الوجه القبلى على نفقته الخاصة وأن هذا وعمر الحق لمن أجل المناقب وأعظم المآثر الحميدة التى أوجبت علينا القيام بواجب شكره والثناء على حسن بره وان ألسنتنا تنشد قائلة

ياأيها الشهم الذى * قلدتنا طوق المنن

يثنى عليك مدى الزما * ن جميع أبناء الوطن

وكيف لاوقد شاركتنا فى أمرين عظيمين ينبنى عليهما صدق المحبة ودوام الالفة وهما الاخلاص للحضرة الفخيمة الخديوية وحب نشر المعارف بين أفراد رعيته ولولا صدق مودتك وحسن اخلاصك لجنابه الفخيم مع ميلك الطبيعى لاستكشاف آثار قدمائنا المصريين تتميما للمعارف واستكمالا للفضائل لما وصلنا الى ذلك الغرض النفيس واذ ذاك نقول

وانا تباع كريمة أو تشترى * فسواك بائعها وأنت المشترى

وعلى كل فانا نرفع لجنابكم أعلام الشكر على منابر الثناء تالين آيات مدحكم وحمدكم فى كل ناد سائلين من المولى سبحانه آن يديم لنا الجناب الخديوى المعظم

لازال يرقى فى المعالى مجده * والسعد يخدمه مدى الايام

حتى به مصر السعيدة تزدهى * بالعز والاقبال والانعام

تحريرا بالقاهرة فى يوم الاحد لست خلت من رمضان المعظم سنة ١٣٠٩ هجريه

تم طبعها الباهر فى المطبعة العامرة ببولاق مصر القاهرة فى شهر رمضان المبارك سنة ١٣١٠ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحيه